رواية

لم أكن أستحق

دعاء سعد

كتوباتي
kotobati

لم أكن أستحق

I didn't deserve It

دعاء سعد

رواية

الكتـــــــــــاب: لم أكن أستحق.. I didn't deserve It

تـــــــــــأليف: دعاء سعد

النوعيـــــــــــة: رواية اجتماعية

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

مقدمة: 6
إهداء 8
الوقت الحاضر 9
قبل اللقاء 14
أول لقاء 19
صديق قديم 23
إشفاق 25
حادث يقلب الأمور 30
توتر ما قبل الكارثة 34
قبل الكارثة 39
الكارثة (الاعتراف) 43
بعد الكارثة (الانكسار) 48
بعد الكارثة (غضب واعتذار) 53
الابتعاد 58
الاطمئنان من بعيد 62
لماذا؟ 67
اجتماع من جديد 72
نصب في الحب 76

اكتشاف الحقيقة 81
طيف من الماضي 87
اختيار 91
صديقة مقربة 97

"ربما لم يكن شيئًا مهمًا بالنسبة لك لكنه كان قلبي"

محمود درويش

مقدمة:

لا أعرف ماذا أكتب؟ لم أكتب مقدمة من قبل.!

حسنًا، هذه القصة أخبرتني بها إحدى صديقاتي، الرواية من جانبها، فلا أدريّ هل هي مظلومة أم ظالمة؟ أعتقد أن كل منا ظالم ومظلوم، ظالم في رواية أحد آخر، ومظلوم في روايته هو.

سأحاول صيغتها وأن أرويها بطريقتي، القصة حقيقية وواقعية، قصة حبها وحسب أما باقي الاحداث فأنا من صنعتها، لقد حدثت معها، وما أنا إلا راوي يخط بالقلم وحسب.

ويعيد صياغة الحكاية، ويربط الأحداث ببعضها لتصبح رواية مكتملة الأركان .

و إذا كنت تتسأل هل كل ما أكتبه حقيقة؟ لا أعلم الحقيقة من قبل كانت خيال، والخيال حتى و إن أنكرته كان حقيقة من قبل.

إهداء

إلى

كل روح أرهقها الألم

إلى قلوبكم المتألمة، فلتهدأ حتى تطمّئن.

قال علي ابن أبى طالب كرم الله وجهه" إنَّ الله يقذف الحب في قلوبنا، فلا تسأل مُحبًا.. لماذا أحببت"

الفصل الأول:

الوقت الحاضر

فتاة في شرفة منزلها، الشرفة عبارة عن استراحة صغيرة، بها كرسيان وطاولة صغيرة، ومجموعة صغيرة من النباتات والورود في أصُص فخارية مزخرفة، هناك وردة من الورد البلدي حمراء اللون، ومجموعة وردية اللون من زهور صباح الخير. في آخر الشرفة أصيص بداخله نبتة ست الحسن، لمن لا يعرفها ست الحسن، أتروبا بيلا دونا، أتروبا بيلا-دونا، بيلا دونا أو الباذنجان المميت هي نبتة عشبية معمرة من العائلة الباذنجانية، يرجع أصلها إلى أوروبا، شمال أفريقيا، آسيا الغربية، وبعض المناطق في كندا والولايات المتحدة الأمريكية. والاسم «بيلا-دونا» مشتق من اللغة الإيطالية ويعني «المرأة الجميلة» لأن العشبة كانت تستخدم كقطرة للعين من النساء لتوسيع حدقة العين كي تبدو أكثر جاذبية. وهي نبتة متسلقة، تغزو المكان وتفرض سيطرتها عليه، في الزاوية الأخرى أصيص به نبتة نعناع شديدة الخضرة، إذا نظرنا إلى الشرفة سنجدها آيةٍ في الجمال. يوجد على الطاولة الصغيرة كوب

قهوة ممتلئ إلى النصف، بجواره رواية أحببتك أكثر مما ينبغي، يقلبُ الهواء صفحاتها، في محاولة لمعرفة ما يجري، تمسك الفتاة هاتفها وتتصل بإحدى صديقاتها، وتبدأ بسؤالها عن حالها .

- عاملة إيه؟

الطرف الآخر بصوت مخطوف :

-الحمد لله وأنتِ؟

- مالك يا بنتي، أنتِ كويسة يا سجدة؟

سجدة بذات النبرة:

- أيوه الحمد لله، بس في حاجة خايفة أقولك عليها، بصراحة.

- لا متخافيش، قولي يا بنتي، أنا كدا قلقت أكتر والله.

سجدة بتوتر :

-مراد أتجوز يا نور.

نور بثبات انفعالي:

- ألف مبروك أستني أزغرد، لولولولي.

سجدة بتعجب :

-أنا مكنتش متوقعة رد فعلك دا والله!

نور بلا مبالاة :

-يا بنتي عادي بجد، يعني هعمل إيه، هو أصلًا مبيحبنيش وكان بيعتبرنا صحاب وأخوات، فكان حب من طرفي أنا، يعني بالأحرى أنا مكنتش في دماغه ولا حساباته أصلاً، فاهمني.

سجدة بعطف :

-طيب أنا جايلك وهنقعد سوا.

أغلقتَ المكالمة، ووضعت يدها على قلبها، وترقرقت الدموع في عينيها، وقالت: أنا بتألم، هنا، حاسة أن قلبي هيتجمد من الألم، أنا عارفة أني مش من حقي، مش من حقي، إني أبكي، أو حتى أتألم، لأنه ببساطة محبنيش، محاولش حتى، عادي أصلًا، أنا قوية وهعدي كل دا، أنا أصلًا كدابة لا قوية ولا هعدي أي حاجة من دي، مراد أتجوز خلاص، أنا كنت بدعي ربنا أنه يكون في واحد بالمئة بس، أنه يكون ليا، بس دا محصلش، ربنا بعده عني عشان أنا مستحقهوش، لم أكن استحق .

***

بعد ستة أشهر.

الحياة تستمر ونتعايش ونتجاوز، ولكن لا ننسى .

ما زالت تراقبه ولكن لم يعد يجدي. لقد انتهت هذه القصة، قبل أن تبدأ.

أخبرتني :

-أنه الآن ينتظر طفله القادم.

على ما أعتقد لا أعرف ما يحدث معه، لقد انتهى بالنسبة لك، و إن لم تكن تلك قصتك ولا التي سوف أحكيها، تلك كانت قصته، وأنتِ كنتِ الطرف الثالث، أو على الأحرى لم تكوني، ولكنك صنعتِ لنفسكِ مكانًا وهميًا. ها أنا الآن أخبرك هونِ على نفسك، أنتِ تستحقين الأفضل بكل تأكيد، وأنا كلّي ثقة، إن الله سيرزقك بالشخص المناسب، وسيزهر قلبك من جديد. إن الله يبعد عنا أشخاص بذاتهم ليس لأننا سيئين بل لأننا جيدين أكثر مما ينبغي، فليزهر ربيع قلبك. ربما لم يكن هو جيدًا بما فيه الكفاية لك، فليطمّئن الله قلبك ويزيل كل ألم به .

هناك جملة في مسلسل "أهو دا اللي صار"، تنطبق على هذه الرواية " الحب عمره ما كان بالغصب، مع أن الحب كله غصب"

بمعني أن الحب ليس بالإجبار، ولا يمكنك إجبار الطرف الآخر على حبك، وفي نفس الوقت ليس لك سلّطة على قلبك، فتقع في الحب رغمًا عنك.

الفصل الثاني:

قبل اللقاء

قبل ثمان سنوات.

كانت سنة مضغوطة ولم أعرف ماذا أفعل؟

نهاية اِمتحانات الثانوية العامة. و اِنتظار النتائج. الأيام تبدو ثقيلة. وانتظار الأيام يبدو كسنوات. ناهيك عن أن الساعات تصبح شهورًا، التوتر، الضغط العام. كل هذا يؤثر بك ويجعلك أكثر حساسية تجاه الأمور. قد تبكي لمجرد أن أحدهم طلب منك كوب ماء ولم تجد القدح المناسب. درجات أقل هذا يعني أنك لم تجتهد بما فيه الكفاية. ونهاية مستقبلك، وأحلامك التي تخطط لها لا يصبح لها وجود من الأساس. الدرجات تتحكم بمصيرك كأنها لعنة ولا بد من العبور داخلها، والخروج حيًا ما استطعت. لم أكن من هواةَّ الاجتهاد. ولم أكن أهتم كثيرًا. ولكن أبي كان يفعل، دومًا أبتغى أن أكون مجتهدة، وأن أحصل على أعلى الدرجات. أب حنون وأم تحبك ماذا تطلب أكثر من ذلك؟ أمي هي جيشي الوحيد، وأبي هو أمني وأماني .

إصدار النتائج، يكون فيه ظلم كبير نوعًا ما. كثير من الطلبة تنتحر لو لم تحقق حلمها أو تحَصل على المجموع الذي تريده وتشعر أن حلمها تحطم. لم يعرفوا أنه ربما لم يكن حلمك، وربما الله أراد لك طريق آخر. مجموع الثانوية العامة، ليس نهاية العالم، يمكنك المحاولة مرة أخرى. لا تيأس من المحاولة أبدًا، صديقي هون على قلبك، ولتعرف أنَّ الخير يختاره الله، لا تفقد الأمل أبدًا.

أديسون حاول ألف مرة قبل أن يصنع المصباح الكهربائي، وعندما كان يفشل، كان يقول: لم أفشل ولكن هذه الطريقة ليست لصنع مصباح كهربائي، حول الفشل إلى نجاح، حولوا أنتم أيضًا الفشل إلى نجاح. حاولوا وتذكروا لا ضرر أبدًا من المحاولة .

يوم إعلان النتائج، يوم مبهج للبعض ويوم كارثي للبعض الآخر، هونوا على قلوبكم ولا تحزنوا، اتفقنا. كنت أنتظر مجموعي بلهفة شديدة، النتائج جميعها ظهرت، ونتيجتي لم تظهر بعد، يبدو أنهم تفاجئوا من معدلي لهذا قرروا حجبها قليلًا. أمزح مواقع تحميل النتيجة عليها ضغط شديد. تخيل اثنان مليون طالب، يحاولون الدخول للموقع ومعرفة نتائجهم، ماذا تتوقع؟ بالطبع "سيستم" الموقع سيتوقف وليس بعيدًا إن انفجر من كل هذا الضغط

والأعداد الهائلة النازحة إليه. بعد ست ساعات بالضبط، حاولت الولوج إلى الموقع، وخبرًا سعيدًا بالطبع كان المجموع 95%، طبعًا تتوقعون أني سألتحق بكلية الطب، لم تحزوا؟ لقد كنت في الشعبة الأدبية للأسف. وهذا لأني كسولة في الواقع، كيف أكون كسولة وهذا المجموع؟ لا أعلم أعتقد أنه الحظ ربما. أبي أبتغى أن أسجل في كلية الالسن ولكني لم أحبها، لهذا فضلت التسجيل في كلية التجارة، كلية الشعب كما يقولون. كانت فرحتي لا توصف عندما سجلت بها. أحد أحلامي يتحقق، ولكن أبي كان منزعجًا لأنه أراد ليّ الأفضل. وأنا أيضًا لم أكن أعلم، أني سأصاب بلعنة لحظة التحاقي بهذه الكلية. بعد أن استخرجنا شهادة الترشيح، وقمنا بتجهيز الملف. كان الاختبار الحقيقي ينتظرنا. من إمضاء. إلى شراء الطوابع. ودفع مصاريف بطاقة الهوية الخاصة بالجامعة. والذهاب والإياب من موظف الشئون إلى موظف الخزينة. يبدو كل شيء عاديًا، ولكن الذي لم يكن عاديًا هو الوقوف في الطابور. ناهيك عن ألم الوقوف لساعات، ولكن كانت هناك فتيات لا يلتزمن بالصف.

تخيل أن تكون ملتزم في الصف وتأتي فتاة وتتجاوزك، حدث ولا حرج، لقد شتمت كثيرًا في سري ولعنت الكلية والموظفين ومنسق الرغبات، ولعنت نفسي لأني أخترت أن أسجل بها.

لهذه الدرجة! نعم، الإجراءات مملة، روتينية، مزعجة، والأكثر إزعاجًا هو تجاوز الصف. يومها كرهت التعليم ولكن جرى حديث سريع بيني وبين موظف الخزينة ما زلت أتذكره.

الموظف :

-هاتي سبعمائة وخمسين جنيه، وروحي التوريد، ادفعي مائتان جنيه في المكتب اللي جنبنا وهاتي طوابع تانية.

بنبرة هادئة، ولكن من داخلي أشتم، أسب، ألعن :

-بس أنا جبت طوابع، هجيب تاني ليه، ولا هو استغلال وخلاص.

الموظف بنبرة حادة:

- والله أنا عاوز أخدمك، وبعدين دي قرارات الجامعة، يا أنسة أحنا مش بنحط حاجة في جيبنا، كفاية إننا ملطوعين من سبعة الصبح.

ذهبت ولم أتحدث بأي كلمة، بالطبع رجل بعمر والدي، كيف أتشاجر معه؟ ناهيك عن أنهُ يمكن أن يخبرني "تعالي بكرة يا أنسة" وينتقم مني أشد انتقام ويؤخر أوراقي.

فقط نفذت المطلوب، ورجعت مرة أخرى للطابور، ولا ننسي التدافُّع والحرب القائمة، والجميع بلا استثناء مستعجل، ويريد أنهاء أوراقهُ، طلبت من أبي أن يدفع ليِّ، وأنا سأنتظر في الصف، لأني خشيت أن يأخذ مكاني أحد، وأقول بكل صراحة، لقد قاتلت بضراوة، لأنجز ما أتيت من أجله. أحيانًا لأبد أن تتخلي عن قليلٍ من مبادئك لتضمن وجودك. بالمناسبة أحببت كلية تجارة، ولكني لم أحب المعادلات الرياضية، ولا الحسابات المعقدة. كان سبب حبي لها، أن أعمل في بنك، وكنت أظن إنهُ من السهل اجتياز الامتحانات، ولكن لم أدري أن فرحتيِ لن تكتمل.

الفصل الثالث:

أول لقاء

في البداية كان كل شيء سهل. ولكن بعد شهر، أصبحت الأمور أكثر تعقيدًا. جمال البدايات كما يقولون الخديعة الكبرى، الفخ الذي نقع فيه جميعًا. في البداية نظن إننا أذكي من المواد ولكن بعد فترة، نكتشف أننا أجهل أهل الأرض. هذا ما اكتشفته أنا، ولكن كان اكتشافاً متأخرًا جدًا، ليتني اكتشفته مبكرًا ولو قليلًا كنت "نفدت بجلدي" كما يقولون وحولت لكلية أخرى، أقل خطورة ولكن فات الآوان، على رأي أم كلثوم "فات المعاد وبقينا بعاد."

في النهاية لم تكن سيئة لهذه الدرجة، لقد تعرفت على أفضل أصدقائي سجدة ورؤي. كل شيء له جوانب إيجابية وسلبية، وهم كانوا في الجانب الإيجابي بالطبع. الاحداث تجري بطريقة روتينية ومعتادة. الذهاب إلى الكلية. حضور المحاضرات. الرجوع من الكلية. الرجوع إلى البيت. كل شيء اعتيادي.

في النصف الأول من العام الدراسي الأول، كان إلى حد ما جيد، نتائج امتحاناتي لم تكن جيدة وحسب، كما أخبرتكم من قبل، أنا كسولة للغاية، ولكني نجحت، ليس التقدير جيدًا، ولكن المهم أني نجحت، أخبركم من الآن من يقول لكم أتعب في الثانوية لكي ترتاح في الكلية، فهو كاذب، محتال كبير، لا تصدقوه. هناك مثل يقول "لكل مجتهد نصيب" لذلك اجتهدوا، وحاولوا دائمًا، لا ضرر من المحاولة. أبي بالطبع وبخَنِي، لأني لم أجتهد، كان يضع عليّ آمال كبيرة، وأنا ماذا فعلت؟ خيبت آماله، وحسب. بالمناسبة أصدقائي، حصلوا على درجات عالية، وتقديرات مرتفعة فرحت لهم، لأني اعتبرت نجاحهم من نجاحي .

في النصف الأخير من العام، كان هناك مادة مزعجة، صعبة ربما. تحدثنا أنا وسجدة وعرفت منها أن شابًا من دفعتنا، سوف يقوم بشرحها لنا، بدون مقابل مادي بالطبع. إلى الآن كان كل شيء عاديًا. أتفقنا على أن نجتمع في مدرج فارغ ليشرح لنا وتجمعنا بالفعل. عندها طلّ علينا شابًا يرتدي بنطال جينز، قميص لونه أزرق، يرتدي نظارة طبية، كان أسمر البشرة نوعًا ما، لم يكن وسميًا حد الفتنة كان عاديًا. شرح لنا هذه المادة اللزجة، دليل على عدم فهمها. أخبرتني الفتيات أن أتحدث معه وأطلب منه أن يطبع ما كان يشرحه أو ينشره

على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" في مجموعة دفعتنا. فالواقع خفت قليلًا، ولكنهم شجعوني. ذهبت إليه وجرت بيننا محادثة صغيرة.

بنبرة هادئة:

- من فضلك ممكن تنشر اللي كتبته على جروب الدفعة في الفيس؟

لم ينظر إليّ مطلقًا، كان نظره موجهًا للأرض :

-حاضر من عينيا.

تركته، وذهبت ولكن خفت أن ينسى، فرجعت إليه وأخبرته:

- متنساش، أتفقنا.

نظره كما كان من قبل :

- حاضر مش هنسى .

ذهبت وتركته، وبالفعل، نفذ ما قاله ليّ، و إستفاد الجميع من شرحه. ومن هنا بدأت اللعنة، أصبحنا أصدقاء بعد ذلك. جرت أحاديث اعتيادية تتلخص في:

- أخبارك عاملة إيه، ذاكري، المواد مش صعبة بس محتاجة تركيز، بكرا في امتحان شدي حيلك.

كانت أحاديث من تلك الشاكلة، مرت هذه السنة، ونجحت بالطبع، تقديراتي ارتفعت قليلًا إلى جيد، كانت في البداية مقبول فقط. كنت أعتبره صديقًا،

وحسب لا أكثر ولا أقل، كان شخصاً عاديًا جدًا بالنسبة ليّ، لم يكن ذا مظهر مناسب، ولكنه كان محترمًا على الأقل معي. عندما ظهرت النتائج تحدثت معه، وكنت في غاية السعادة، لأن تقديري ارتفع، ولأني نجحت في المادة اللزجة.

بعد معاناة بالطبع ومذاكرة، بكاء، صياح، عويل، فعلت كل هذا، بكيت لأن هناك مسالة لم أعرف حلها فشرعت في البكاء، وكانت حالتي يرثي لها. جاء أصدقائي وهونوا عليّ وضحكنا سويًا، وتشاركنا الأحاديث، الأحداث والقلق.

لقد وهبني الله أصدقاء رائعون، أنهم رزقي من هذه الدنيا.

كما تعلمون الأصدقاء رزق أيضًا، وأعتبر نفسي محظوظة بهم.

"الأصدقاء.. خِفَّةُ الأيام الثقيلة، ونورُ الليالي الطويلة، ومَذهبُ الهم وجلاؤه، وتفرُّقُهُ وانتهاؤه.. فكأنَّ الروحَ ترفرفُ ساعةَ الصُّحبة، ما بين أرضٍ فسيحةٍ وسماءٍ رحبة.. غيومُها ابتساماتٌ صبيَّة، وبِحارها قلوبٌ نقيَّة"

الفصل الرابع:

صديق قديم

الآن، أنا في السنة الدراسية الثانية، ماذا تظنون لست فاشلة كما يهيئ لكم، أنا كسولة وحسب. النصف الأول من العام حدث مشكلة صغيرة. كل ما حدث أني تشاجرت مع الشاب ذا النظارة، كيف حدث هذا، سأخبركم. كما تعلمون، هناك شخص يتطوع، لكي يأخذ منا ثمن كتب أساتذة الجامعة ويعطيها لهم، لكي يطبعوا كتبًا بعددنا. ما حصل هو إنني دفَّعتُ ثمن كتبي، ولكن هذا الشاب نسى أن يكتب اسمي. وبالتالي ضاعت عليَّ الكتب، وضاعت نقودي أيضًا. كنت غاضبة جدًا، لدرجة قمّتُ بتوبيخهِ، أمام زملائنا وأصدقائي أيضًا قُلتُ لهَ كيف تنسى أي مهملٍ أنتَ، وكلاماً لا أتذكره. كنت سخيفة بحق. ولكن بعد أن هدئت، تحدثت معه واعتذرت منه، أن تأتي متأخرًا خير من أن لا تأتي أبدًا. كان رده ما أخجلني لأنه أعتذر ليّ، وأخبرني إنهُ يمكنني أن أخذ كتبهَ، كبديل عن كتبي.

لأنه وببساطة لقد نفذت النسخ، وبالطبع لن يطبعوا من أجلي خمس كتب. ولكني أخبرته، لابأس لا تهتم. ولكنه كان مُصِرًا، لن أنكر أعجبني تعامله مع الأمر وأعجبني احترامه.

التقيت صديق قديم، ليس صديق وحسب و إنما هو قريبي من بعيد.

سليم، شاب مثقف، مجتهد إلى حد كبير "دحيح"، أو كما يقولون "يهودي من يهود الدفعة "، في الواقع هو شخص طيب، خدوم، متفاهم إلى حد كبير. إنه بمثابة أخ ليّ. بالمناسبة سليم متزوج، فلا تفكروا، ولا تعتقدوا حتى مجرد اعتقاد أنه سوف يحدث شيء بيننا. هو أكبر مني بسنة واحدة، تزوج في سن التاسعة عشر، من فتاة كان يحبها، بعد قصة حب عميقة. لا أمزح، لم تكن هناك قصة حب، هو فقط وجدها مناسبة، فتاة ذات تعليم متوسط، حاصلة على دبلوم فقط، لن تناقشه في شيء، ولن تطلب منه أن تكمل تعليمها، أو تحاول حتى الخروج من دائرته التي صنعها لها.

كان يفرض سيطرته بشكل كلّى، حياته كانت عادية، روتينية، بسيطة.

الفصل الخامس:

إشفاق

في يوم ما بينما أنا أتصفح موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، إذا أجد أمامي منشور. أو تعلمون منّ صاحبه؟ حزرتم؟ لم تحزروا؟ حسنًا. الفتى صاحب النظارات، تتسألون وكيف عرفت أنه هو؟

ببساطة لأنهُ يضع صورته الشخصية على حسابه، هذا كل ما في الأمر. بالمناسبة لقد كان المنشور في مجموعة الفرقة، لأننا كنا ننشر كل شيء على هذه المجموعة، حتى و إن كان شيئًا شخصيًا، كنا عائلة صغيرة. سأعيد صياغة المنشور بالطبع، لأنهُ كان مكتوب باللغة العامية.

أتعلمون؟ عندما كنت طفلًا أردت أن يكون اسمي بلال مجدي رباح، لأني كنت أعجبت بسيدنا بلال ابن رباح. ولكن عندما كبرت علمت أن اسمي كان يجب أن يكون على ما هو عليه، وأن أكون فخورًا بذاتي. عندما كنت صغيراً، كانوا يحكمون على الأشخاص بمظهرهم، و إلى الأن هذا يحصل. كنت أعاني من هذه النقطة، وكنت أقول، لماذا يا الله لم تخلقني جميلًا، مثل رفاقي

والجميع يحبني ويعاملني مثلهم، ولا يقوم أحد باضطهادي. لأن الذين حولي كان لديهم شكل جميل، وأنا كنت الطفل الأسمر الذي كان شكله ليس جميلًا. عندما نضجت علمت إن الله أذا أعطاك شيئًا بالنسبة لك سيئ، لأن الناس جعلتك تشعر بذلك، فهو يعطيك شيئاً جميلاً في المقابل. وإن أعطاك شيء جميل لأبد أن يكون غير مكتمل، وهذا هو العدل، وأيضًا عرفت أن الجمال لا يمكن أن نتحدث بشأنه، لأن لا أحد يختار شكله أو اسمه، لأنها حكمة الله، وأي شخص يتحدث عنها، ليس لديه يقين بحكمة الله. لهذا لقد كتبت موضوع عنه اسمه السحر الأسود، ليس له علاقة بالدجل أو الشعوذة، وإنما يتحدث عن أنواع الجمال. أريدك أن تعرف إن الله أعطى لكل شخص شيء، شخص آخر يتمنى أن يحصل عليه، لهذا يجب أن ترضى بما كتبه الله لك. العبرة إن الله ميزك بشيء مميز أو موهبة أعطاها الله لك، دون عن غيرك، ستقوم باكتشافها، في الوقت المناسب، لكي تعرف قيمتها، وأنك خلقت لأجل هدف ورسالة.والعبرة في النهاية، أنك تصبر وتنتظر، إلى أنّ يكرمك الله بالشيء الذي كنت تكرهه، ويجعلك تحبه وينير بصيرتك.

لقد شعرت بالإشفاق عليه، بعد هذا المنشور. لم نكن أصدقاء مقربين، ولكن أصبحنا فيما بعد. عندما قرأت الكلمات لأول مرة ذاب قلبي، لم اتحمل أن

يعاني طفلًا كل هذا. أتعلمون عندما تلامس الكلمات قلوبكم، هذا ما حدث بالضبط، هذه الكلمات لأمست قلبي. لهذا أخطأت وتحدثت معه، وحاولت أن أدعمه بدافعٍ الشفقة لا غير. تحدثنا بشأن الدراسة، وأن علينا أن نجتهد، نذاكر، نفوق من غفلتنا، نقترب من الله.

بالمناسبة في موسم الامتحانات، نتقرب كثيرًا من الله، نفعل هذا دائمًا، والغريب أن الله يستجيب لنا ويكرمنا أكثر مما نستحق، وهذا لأن الله يريدنا أن نأتي إليه، ركضًا، زحفًا، حبوًا، مشيًا.المهم في الأمر أن نرجع إليه، يفتخر بنا حين نناديه بتضرعٍ يا الله، أن نبكي ونتوسل، يعلم أننا نقاوم ونحاول أن نصل، مهما كان إغراء الشيطان قويًا، نحن لا نترك. و إن تركنا، نعود مرة أخرى، دائمًا يعطينا الفرصة لكي نعود .

بالعودة إلى ذا النظارات، أخبرني في يوم بحكاية حدثت معه، وجعلني أضحك وسأقصها عليكم :

و إذا فجأة، كنت أنا وصديق ليّ نمشي على الكورنيش، واخبرني أنه يريد تناول الكشري من كشري التحرير. ونذهب للمحل ونجده مزدحم، فقام صديقي بالتطوع، لكي يشتري لنا، وأنا انتظرته، ولأن المكان مزدحم فكرت

أن أحضر شيئًا لأشربه. وأنا منتظر صديقي، و إذ فجأة، يقابلني شخص شعرت أنه نصاب، ويحاول الحديث معي. ويسالني عن حالي، وأنا مندهش أنه لا يعرفني حتى، ولكني تحدثت معه، وسألني لما لم أذهب لأشتري، أخبرته المكان مزدحم، فقال لي: يمكنني أن أشتري لك.

ولكني أخبرته: أنه لا يجب عليه فعل ذلك، ولكنه أصر .

فاستسلمت وقولت له: حسنًا، أشتري ليّ وسأحسبك عندما تأت، ولكنه أخبرني أنه يحتاج نقود، ونظرنا لبعضنا وظلّلنا نبتسم في وجوه بعض. في النهاية قام بتثبيتي ليأخذ مني العصير خاصتي، وأخذت صورة له بدون أن يشعر.

ضحكت في البداية من الموقف. فهو مضحك في بدايته ولكني أخبرته: ربما لم يكن نصابًا، ربما كان جائعًا وحسب، كان يمكنك أن تحضر له طعامًا، ولو كان نصابًا بحق، لأقام بسرقة هاتفك دون أن تشعر.

ولكنه أخبرني: لم يكن يستطيع سرقة هاتفي.

هناك أناس كثَّر حولنا، ولكنه أراد أن أعطيه نقودًا، وهذا لم يجدي فأخذ العصير خاصتي.

لم أجادله يومها، ربما هو على حق، لا أعلم من كان على حق، رأيتُ الموقف من وجهة نظري، ولكنه هو من كان في الموقف بنفسه. لم يكن هناك وقت للحديث في وقت ما، فالامتحانات على الأبواب وكان عليّ أن أذاكر وهو أيضًا. ولكننا تحدثنا بالطبع في وقت لاحق. لاحقًا حدث له أمرًا سيئًا، ومنذ تلك اللحظة، وانقلبت الموازين.

الفصل السادس :

حادث يقلب الأمور

اقتربت الامتحانات، نحن في صراع هنا، النجدة أريد النجاة يا الله أنقذني. التعامل مع المسائل والأرقام والمعادلات الحسابية ضربًا من الجنون. أجل أعلم أنا من فعل ذلك بنفسه، ماذا لو أخترت كلية الالسن؟ أ لم يكن هذا سهلًا وبدون تعقيدات؟ ولكن لا كيف يمكن أريد تحقيق أحلامي وذاتي وما أحب، اللعنة عليّ وعلى ما أحب.

والآن أخبركم كيف نحل مسألة حسابية معقدة:

-اكتب المسألة بكل فهم.

-اكتب القوانين بكل ذكاء.

-اكتب المعطيات بكل إتقان.

-أجلس وأبكي جوارها بكل قوتك.

وهذا ما أفعله الآن .

مرت الامتحانات وزملينا ذا النظارات لم يأت، لم أتحدث معه، ببساطة لأني منّ تحدثت آخر مرة وهو لم يرد على رسائلي، لهذا الأمر لم أعرف ماذا أصابه؟ ولكن قبلها كان قد نشر منشورًا على صفحته أنه ملّل هذه الحياة وأن التعامل بطيب شيء سيئ أو شيء من هذا القبيل لا أتذكر. ولكني لم أكن أعلم أنهُ قد يحدث لهُ شيئًا سيئًا. ولكن بعد فترة نشر سليم منشورًا في مجموعتنا للفرقة أن زملينا ذا النظارات قد صار معه حادث أدى لكسر في ساقه، لهذا لم يحضر الامتحانات، وأن ندعو له بالشفاء. عندما عملت فقدت صوابي، كيف حدث ذلك ولِمَ لم يخبرني أو يتحدث معي ظننت أننا أصدقاء. تحدث معه وعنفتهُ، ودار بينا الحوار التالي، كان الكلام مجرد رسائل ربما تكون خالية من المشاعر ولكنني كنت قلقة وغاضبة وحزينة بحق:

- أزاي حصلك كدا ومتكلمنيش ولا تقول حتى ؟

ذا النظارات: كانت حاجة عادية مش مهم .

- أزاي حاجة عادية أنتَ مستفز والله، عملت حادثة وكسرت رجلك وبتقول عادي؟

ذا النظارات: وهعمل إيه يعني، اللي حصل، حصل. أنتِ بس مكبرة الموضوع زيادة عن اللزوم.

- طيب زي ما تحب، أنتَ صح، خلي بالك نفسك .

يا لك منّ مستفز، كيف للأمر أن يكون عاديًا، لم يكن أمرًا عاديًا كان يمكن أن تموت. حسنًا فليمت لا يهم، لماذا أهتم أنا، إذا كان هو لا يهتم بحياته فلماذا أنا أهتم؟ لم أعلم لماذا فعل ذلك إلا متأخرًا. أنا دائمًا أفهم متأخرًا. ودائمًا أتي متأخرًا أيضًا. ومن هنا بدأت لعنتي، بدأ الاهتمام الزائد، وبدأ الحب ينمو بداخلي له.

لم أكن أعلم هل هذا حبًا أم لا؟ صدقًا لم أعلم.

وهنا كان لا بد أن استعين بسليم هذا الكارثة، يا إلهي لقد وقعت في الفخ. تحدثت مع سليم، وأخبرته إني أشعر بمشاعر تجاه أحدهم، و إن ماذا أفعل؟

لقد اندهش كلّيًا وأخبرني: أزاي دا حصل؟ طيب هل اللي جواكِ فعلًا حب ومش يمكن مجرد مشاعر عادية؟

أخبرته: ما أنا معرفش يا أذكي أخواتك، وعشان كدا قولتلك، يعني لو أعرف هقولك ليه مثلًا.

أجب ضاحكًا: أنتِ مش بتتغيري أبداً، طيب قولي كلمة حلوة، أو أسكتي، أي مدَّب.

أخبرته: طيب أنا غلطانة أني بقولك أصلًا.

سليم: طيب، روحي قولي له أنك بتحبيه.

هنا صدمت ماذا يقول هذا الغبي، بالطبع لن أخبره، ولن أتورط في هذا الأمر.

لا أعلم ماذا أفعل؟ هنا بداخلي هناك شعلة تم إضاءتها، أشعر بالألم والسعادة والحزن والخوف، كل هذه المشاعر، أشعر بها دفَّعةً واحدة. هل هذا حبًا حقًا، هل أنفذ نصيحة سليم؟ كنت خائفة، خائفة جدًا، لم أشعر بهذا الخوف من قبل. كنت أشعر أن قلبي سينخلع من مكانه ويذهب بعيدًا عني.

ولكن لماذا كنت أشعر بالألم هل كان إشارة لما كان سيحدث؟ لا أعلم لم أكن أحلل الأمور، كنت شخصًا طائشًا، وربما لازلت كذلك، حتى بعد مرور كل هذا الوقت .

الخوف هو من يفسد كل شيء، الخوف ثقبًا أسود يلتهم كل ما هو جميل بداخلنا ويحوله إلى شيء سيئ وباهت ومنطفئ.

الخوف يقتلنا ببطء، ينهب أحلامنا وما نريد تحقيقه، يجعلنا نقف في منتصف الأشياء، لا نحن نمضي ولا نحن نتراجع.

فقط يجعلنا لا نتحرك مثل التماثيل أجساد بلا أرواح، يلتهم أجمل ما فينا أرواحنا.

الفصل السابع :

توتر ما قبل الكارثة

بعد مرور عدة أشهر من تحدثي مع سليم لم أعترف، لم أستطع، خفت أن أخسره، إن اعترفت. ولكني كنت أقع في الحب أكثر كلّما تأخرت في الاعتراف بمشاعري. أتعرفون تلك النغزة التي تشعرون بها في قلوبكم، لقد شعرت بها. شعرت بألم، هل عندما تقعون في الحب تشعرون بالألم؟ أم إنيّ القاعدة الشاذة.

لم أعلم ماذا أفعل؟ أعرف أن ما أفعله خطأ كبير وغباء كبير أيضًا.

فلنتحدث مع القنبلة الموقوتة، أ لم تعلموا عمن أتحدث؟ بالطبع عن سليم.

جرت المحادثة في رسائل قد تبدو خالية من المشاعر ولكن سأصفها :

وأنا أضع وجهًا تعبيريًا مبتسم: عامل إيه؟

أرسل ليّ سليم الوجه التعبيري المرتدي النظارات السوداء: أدخلي في الموضوع على طول، من غير لف ولا دوران.

وضعت وجهًا تعبيريًا ضاحكًا: أنا بلف وأدور عليك، طيب قول كلام غير دا.

- بصي أنا مش فاضي حاليًا وبجد فيا اللي مكفيني.

تكلمت بجدية بدون أي رموز تعبيرية: إيه حصل طيب، حصل حاجة لمامتك أو لمراتك أو لابنتك؟

- أوف أهو مراتي دي سبب كل اللي أنا فيه، أنا زهقت يا نور والله.

- أستهدي بالله كدا وصل على النبي، عملت إيه تاني بس، ما الولية في حالها؟

- عليه الصلاة والسلام.

يا نور دي كل همها أن هي تضيع الفلوس اللي بحوشها، وتشتري هدوم، وهي أصلًا معها الدولاب بتاعها كله مليان هدوم وكلها جديدة، خايفة لأتجوز عليها وأنا بصراحة بفكر أعمل كدا، من كتر الخنقة اللي معيشاني فيها، وبقولها هتجوز عليكِ .

- أنتَ تخرس خالص، يا بني طمنها، قولها كلام حلو، قولها مش هتسيبها، مش تقولها أنا هروح أتجوز عليكِ، جز نحلك يا بعيد.

- أنا بتكلم جد، متهزريش وغير دا كله، أهي حامل للمرة التانية، وكأنها بتقولي ورينى هتتجوز أزاي، أنا زهقت بجد.

- وطالما زهقت أتجوزتها ليه وخلفت منها، أنتَ المسئول الوحيد عن دا، وليه عاوز تتجوز تاني، مراتك ست حلوة ونضيفة، وأهو خلفتلك بنوتة زي القمر، واللي جاي في السكة أهو هينور حياتك وحياتها، وبعدين لحظة واحدة أنتَ بتلؤمها على غلطك أنتَ ليه ؟

- أنتِ بس عشان مش في مكاني فمش فاهمة.

المهم قُلتي لصاحبنا على اللي في قلبك من ناحيته.

- مقدرتش أقول حاسة أن الموضوع غلط أصلًا، يعني مش حاسة أني اللي بعمله صح، حتى كلامي معاك حاسة أنه غلط.

- لا عادي مش غلط أنتِ كل اللي هتعمليه أنك هتقولي مشاعرك، وهو حر يوافق أو يرفض، كلامك معايا، لا أحنا قبل ما نكون قرايب فأحنا أخوات.

- شكرًا لنصايحك ليا بجد، بس أنتَ عارف أني مجنونة وهروح وأقوله بجد.

- تعرفي نفسي في حد مجنون زيك والله، ياريت لو كنت أخترتك أنتِ في الأول.

أرسلت وجهًا ضاحكًا: بس أنتَ أخويا، مكنش هينفع أصلًا .

أغلقت المحادثة وأخذت الموضوع بمزاح.

سليم أكثر ما يزعجني فيه هو تذمره الدائم والسخط على الحياة، أو السخط على زوجته، لماذا يعاتبها على شيء لم تقترفه، هو من ينجب الأولاد، وهو من أختارها، هو من أرادها آلة تتحرك فقط بإرادته، وهي الآن تدافَّع عنه باستماته. ليس لها مصدر دخل إلا زوجها، هو مُعيلها وأمانها، هي تحبه وحسب.

وهو شاب غبي حقًا، كيف يريد التفريط بها، وماذا كان يريد أن يختارني، يا له من مسكين.

أنا فتاة متمردة لن أقبل إهانته ليّ، ولن أرضخ له ولا أوامره، سنكون مثل النار والزيت هو يريد أن يلجمني وأنا فرس برَّية لا يمكن ترويضها.

أخبرني ذات مرة أنه يحب شخصيتي، ويعجبه إني أعرف ما أريد، وأنه برغم من جنوني إلا إني عاقلة تمامًا. لو أن أحدًا غيري لظن أنه يحبني، ولكن لا سليم يحب زوجته، هو فقط أحيانًا يهذي ويذهب عقله، عندما تأخذ منه نقود أو تقول له الصغيرة مريضة أو بحاجة إلى علاج، إن لم تطلب أي من هذا فهيّ حبيبة قلبه وأم عياله .

لم أستطع أن أتحدث مع صديقاتي، فأنا أخبرهم أن أمور الحب لا تناسبني، فلا أستطيع أن أخبرهم، مرحبًا يا فتيات سهم الحب أصاب قلبي، بالطبع لا

سأخبرهم عندما ينكسر قلبي. أجل أنا دائمًا أحب ذلك الحب المستحيل، الذي لن نجتمع فيه أبدًا.

أحبني زميل ليَّ في المدرسة الابتدائية، ولكني قُلت له أن الحب شيئًا تافهًا، ولا وجود للحب. وأني لا أستطيع أن أحب أحدًا أبدًا، أعذرني أنت شخص لطيف ولكني لا أستطيع. كنت فتاة مدللة وكان أبي هو حبي الأول. لم أكن بحاجة لحب أو اهتمام من أحد. كيف لفتاة مثلي أن تقول هذا الكلام لا أعلم كيف قُلته، ولكنه الحقيقة.

الفصل الثامن :

قبل الكارثة

كان أمرًا مصيريًا حقًا، أنا لم أتوتر هكذا حتى مع ظهور نتيجة امتحاناتي بالثانوية العامة، بل كنت هادئة جدًا. لقد قررت محادثة أعز صديقاتي رؤي، وهي لديها خبرة في هذه الأمور، كما تعلمون أمور الحب، فأنا لا أفقه شيئًا فيها كما يقولون "تور لاهي في برسيمه "، لم يكن لدي الخبرة الكافية أو ماذا أفعل؟

وهنا تأتي فائدة الأصدقاء، تحدثت معها ودار بينا حوارًا كالتالي:

-عاملة إيه؟ عاوزة أخد رأيك في موضوع مهم جدًا.

- الحمد لله.

ماشي قولي

- بصراحة أنا واقعة في الحب ومش عارفة أعمل إيه؟ وأنا معرفش غيرك عشان أقوله أصلًا، أيوه في سجدة بس مش هتفهمني زيك.

أرسلت رمزًا تعبيريًا ضاحكًا: ابن غريمي الأول غرقان في الحب لشوشته. الله، الله ومين سعيد الحظ اللي جلالتك تكرمتِ وعطفتِ عليه ودخل قلبك؟

كنت متوترة للغاية وخائفة ولم أدري ماذا أفعل حتى الكلمات طارت من عقلي وأصابعي لم تعد تقدر على الكتابة، ماذا أقول لها، أنا جد قمت بتوريط نفسي، والآن عليّ الاعتراف.

بأصابع مرتعشة، كتبت: في الواقع أنا بحب مراد، ومعرفش أعمل إيه أقول ولا مقولش ويفضل الحب جوايا وبس.

- المسألة معقدة جدًا، ما أنا معرفش هو بيحبك ولا، أخاف أقولك قولي، تندمي وممكن يكون بيعتبرك بس مجرد صديقة، وأخاف أقولك متقوليش تندمي، معرفش والله غالبًا هما اللي بيعترفوا بحبهم مش أحنا. بصي أعملي اللي يريحك مقدرش أفيدك، بس حفظً لكرامتك متقوليش، عشان متبقيش أهنتِ نفسك بالفاضي .

وأنا التي كنت أظن أنك ستنفعينني بشيء. رؤي ينطبق عليها المثل القائل "عاملة فاهمة وهي جاموسة متحركة على الأرض "

ماذا استفدت أنا الآن، هل جاءت بحل مناسب، لا لقد عقدت الأمور أكثر بالنسبة ليّ.

ماذا أفعل الأن هل أصلي، لا يمكنك أن تصلي وتطلب من الله شيئًا محرمًا، لا أعرف يقولون أنه لا يجوز أن تصلي لتكسب قلب أحدهم لأنها بالأساس علاقة لا تجوز. لا أعلم هل هذا صواب أم لا؟ لقد كثرت الفتاوي في عصرنا، فلا تعلم من يقول الصدق ومن يكذب .

أنا حتى لا أعلم إن كان يحبني أم لا؟

لا أعلم ماذا أفعل أتحدث مع سجدة؟

لا أستطيع التحدث مع أمي فهذه أمور تجلب العار ولا تناسب تقاليدنا ولا ديننا. ولربما قامت بمعاقبتي، أو تحريض أبي عليّ .

التحدث مع سليم لن يجدي، فهو سيخبرني أن أعترف وأن يتخلص من زنيَّ. لأني ربما تحدثت إليه في هذا الموضوع عشرات المرات أو ربما مئات. كلّما حاولت إخراج هذا التفكير من عقلي أتمسك به أكثر، ربما جننت، أو أنا بالأساس مجنونة وفاقدة للعقل .

سليم أفضل أصدقائي، أحيانًا يزعجني ولكنه صديق جيد، ولكنه ناصح سيء. لأنه يعلم أني أنفذ ما يدور في ذهني وحسب، ولقد عقدت العزم وسوف أخبره، والذي يحدث فليحدث لن أخسر شيء، أو ربما هذا ما كنت أعتقده.

لماذا لا نستمع إلى أصدقائنا الذين يردون لنا الخير، أو لماذا نمشي في هذا الطريق السيئ من الأساس. لماذا قلبنا ينبض بداخلنا ويحاول أن يهرب من القفص الصدري الخاص بنا، ويذهب إلى قلب شخص آخر .

لماذا نعاني ونتألم إن كان الحب يفوز في النهاية؟

هل الألم جزء من الحب؟

أنا خائفة. خائفة جدًا. خائفة أن يتم رفضي وخائفة لأني سأخبره. خائفة من المجهول. خائفة أن يتحدث معي بكلام لا أفهمه. خائفة أن يرد ردًا قاطعًا ومؤلمًا. خائفة أن يتحطم قلبي. خائفة أن أجرح، فأنا إن جرحت سأكون مثل النمر الجريح، سأؤذي الجميع حتى من يحاول مساعدتي. خائفة أن انكسر، أنا خائفة جدًا.

الفصل التاسع:

الكارثة (الاعتراف)

مرت أيام وأنا أفكر كيف سأخبره؟ نحن نتحدث بالطبع ولكن حديث على شاكلة، كيف حالك؟ بخير وأنت، إذ كان هناك دراسة فقد الحديث يطول، لأننا في هذه الفترة كنا مشغولين للغاية، فلا أدري كيف نمَّا هذا الحب داخلي، كان يهتم بشدة في البداية وكان متفاهمًا، ولكن ذلك الحادث غير كل شيء. لا أعلم صدقًا ماذا حدث، حاولت سؤاله ولكنه يتغاضى عن الأمر أو يفتح حديثًا آخر .

لقد تشجعت وقررت الاعتراف. لا تفعلوا مثلي لا تهينوا أنفسكم مثلما فعلت.

وقد بدأت المحادثة هكذا:

- مراد عاوزة أقولك حاجة.

انتظرت ساعتان إلى أنّ أجاب عليّ.

مراد: أيوه أتفضلي، طبعًا.

من خلف الشاشة وأنا أموت من الخجل، وأن كنت خجولة بحق يومها ما فعلتها ولا قُلتها.

- مراد أنا، لقد أعجبت بك، لقد أسرت قلبي.

تحدثت باللغة العربية الفصحى بالطبع، لأن الكلمات هربت مني.

مراد: نور، مفهمتش عاوزة تقولي إيه؟

- متعملش نفسك غبي عشان أنا مش هقدر أقول.

مراد: لا أنا مفهمتش بجد والله.

-مراد أنا بحبك.

مراد: بتحبيني أزاي، حبيتيني أمتى؟

- معرفش أمتى ولا أزاي بجد معرفش.

مراد: طيب بصي، أنا الحب بالنسبالي أن أنا أتجوز اللي بحبها، أنا مليش في الأمور دي .

في هذه اللحظة لم أفهم، هل يتقدم مني أو يرفضني لم أفهم ماذا يريد، لقد كنت طائشة، وعمري فقط تسعة عشر عامًا، لم أكن أعلم ولهذا لقد قمت بتفعيل وضع النمر الجريح، لأني ظننت أن هذا رفضًا قاطعًا .

وقمت بالرد عليه:

- أنا آسفة بجد، أنسى كل اللي قولته، أحنا صحاب وهنفضل صحاب على طول، أنا متفاهمة كلامك، أنا أصلًا كنت بهزر معاك، أنت صدقت ولا إيه؟

مراد: أنتِ معجبة بيا صح؟

أنتِ معجبة بيا كتير، أقصد كتير جدًا. متكذبيش عليّ.

- أيوة أنا معجبة بيك وجدًا كمان.

مراد: ليه، قوليلي بسرعة؟

- معرفش يا مراد، أول مرة تقابلنا فيها... لما قعدنا نتكلم في الليلة اللي رسبت في مادة فيها.. معرفش ليه حسيت أنك صديقي.. صديقي العزيز وهتفضل كدا للأبد، معرفش بجد.

مراد: هكون صديق عزيز متأكدة؟

- أعز أصدقائي.

أنتَ عارف أنا سعيدة جدًا، عشان أحنا صحاب، أعتقد أن الحب يقتل الصداقة... وأن الحب دا شغف، بس الصداقة سكينة وأنا مش عاوزة أخسر السكينة اللي بينا.. صديق حميم، زوج، زوجة. لما بتموت العلاقات دي بيمشي الناس بكل بساطة، بس أنا مش عاوزاك تمشي أبدًا يا مراد.

مراد: أبدًا؟

- أبدًا يا مراد .

مراد: لا متقلقيش مش همشي، أنا وأنتِ صحاب وأخوات.

- معاك حق .

أغلقت هاتفي وجلست أبكي، ما الذي فعلته أهنت نفسي، يا الله ماذا سيظن بي الآن، يا ليّ من غبية حمقاء.

كنت أتكلم بكل ثبات أنا التي تحطم قلبها توًا إلى قطع صغيرة مبعثرة.

كنت جريحة وأتألم، لا أعرف كيف أصف حالي، شعرت أن أحدهم سكب عليّ دلواً من الماء المثلج.

كان شعورًا سيئًا وقاسيًا.

هل هناك وصف لمثل هذا الشعور؟

إنه مثل الحنظل.

بل كان أكثر مرارًا من الحنظل.

ولو كنت أعرف شيئًا أكثر مرارًا منه لذكرته.

ظلّلت أبكي لأيام أو أسابيع ولكن للأسف ربما أنا سأبكي العمر كله على خطئي الفادح .

الحنظل لمن لا يعرفه:

الحنظل أو الحَدج أو مَرارة الصحاري الاسم العلمي Citrullus colocynthis: هي نوع نباتي حولي زاحف يتبع جنس الحنظل من الفصيلة القرعية. يفترش الأرض وأوراقه خشنة يخرج من تحتها خيوط تلتف على النباتات والأوراق القريبة منه لتثبته بالأرض. يشتد نموه في بداية الخريف وتخرج الأزهار وهي صفراء بها خمس بتلات وثمرته كروية الشكل خضراء أصغر بقليل من التفاحة، والحنظل عموماً ثمرته وأوراقه شديدة المرارة. وبعد أن تنضج الثمرة يكون لونها مصفر، وبها حب كثير يُسمَّى السُّفعَة .

كان العرب يأكلون حبه ويسمونه الهبيد، حيث ينقع بماء وملح وينشر في الشمس ويبدل ماءه حتى تذهب مرارته، ثم يدق حيث يخرج منه زيته ويضاف إليه بعد ذلك الطحين ليعمل منه عصيدة. ولا يأكل إلا عند الجوع.

الفصل العاشر:

بعد الكارثة (الانكسار)

بعد كثيرًا من البكاء والألم، كنت حقًا أتألم.

كان هناك شعورًا بداخلي مثل النار عندما تحرق أحدهم.

شعورًا كالموت، لكنك لا تموت، أنت تعاني فقط .

حتى أمي لاحظت عليّ علامات الإعياء، كانت تظن إني مريضة، حتى أنها أعطتني بعض أدوية الصداع والبرد.

كنت أود لو أخبرها يا أمي ابنتك ليست مريضة، ابنتك مصابة بمرض الحب، ولا يوجد طبيب يمكنه أن يخبرك كيف يمكن أن تتخلص منه، ولا حتى الطبيب النفسي يمكنه فعل ذلك .

تحدثت مع سليم وأخبرته عما حدث، كان يواسيني ويهون عليّ.

دار بيننا الحديث التالي:

- سليم أنا قولت له بس مش عارفة هو يقصد إيه بكلامه، بس أنا بعدين قُلت له أني بهزر.

ارسل رمزًا تعبيريًا مندهشًا: عملتي إيه، أنتِ مجنونة بجد، طيب خلاص اللي حصل، حصل. هو قالك إيه طيب ؟

- قالي أن الحب بالنسبة له إنه يتجوز اللي بيحبها، وأنا مفهمتش هو يقصد إيه، فبوظت الدنيا وقُلت له أننا صحاب وأخوات، وأني كنت بهزر معاه.

سليم: جدعة أنك عملتي كدا أهو لاحقتي اللي فاضل من كرامتك، اللي بهدلتيها على الآخر دي.

- سليم أنت بتهزر، أنا بحبه بجد، أنا عيانة بيه ولو خفيت أموت.

سليم: حبتيه أزاي، أنتِ عندك عمى في مشاعرك باين.

- معرفش حبيته أزاي، يمكن مش حب طيب، هجرب أبعد عنه مثلًا، وهشوف لو كان حب أو لا.

سليم: بصي أعملي اللي عاوزاه.

- سليم هو أنا شخص وحش طيب، يعني مستحقهوش مثلًا.

سليم: نور، أنتِ عبيطة، حد قالك أنك عبيطة قبل كدا، أنتِ شخصية كويسة والله، بس محتاجة حد يفهمك وهو اللي ميستهلش واحدة زيك بجد، أنتِ قلبك طيب وحنينة، وأنا والله كنت أتمنى واحدة زيك بجد.

- شكرًا، لأنك بتهون عليّ، وشكرًا لأنك صديق وأخ كويس جدًا.

سليم: مفيش شكر، بينا هبعتلك أغنية بتوصف حالك دلوقت أبقي أسمعيها .
سمعت الأغنية ولكني ملّلت منها، كلَّ كلمات الأغنية كلمتين فقط، أو هكذا ربما شعرت، كانت المغنية ليندا بيطار صوتها جميل حقًا ومعبر.
ولكني لم أحبها.
ليّ ذوق مختلف كلّيًا.
الأغنية كانت كالتالي:
"ومن الشباك لا رميلك حالي
ومن الشباك لا رميلك حالي
ومن الشباك لا رميلك حالي ياعيني
من كثر خوفي عليك ما بنام"

تقريبًا لم أحب الأغنية لأني لم أفهمها، وأيضًا كان يتكرر هذا المقطع كثيرًا لذلك ملّلت، ضحكت كثيرًا، لربما أرادني أن أضحك ليس إلا .

قصصت ما حدث لصديقتي رؤي، حاولت مواساتي
ولكنها أخبرتني بخطئي أيضًا.
أجل كنت مخطئة، ولكن أمور الحب تلك لا أفهمها، أو لا أعرف ماذا أفعل في خصوصها.
فأنا مدللة أبي، وأعطاني حبًا كثيرًا جدًا، لدرجة لا أتخيل أن أحدًا يمكن أن يحبني مثلما يفعل هو.
مدللتك لقد كسرت يا أبي، هناك من حطم قلبها وقص جناحيها.
ولكني لا أستطيع أن أخبرك بخطئي الذي فعلته، آسفة يا أبي لأني حطمت ثقتك، لقد أعطيتني حبًا كثيرًا، حبًا يكفي كل هذا العالم، ولكني لم أحفظ ذلك.
لقد خذلتك يا أبي.
لقد خذلك ذلك القلب الذي ينبض بداخلي.
لقد خذلك وأحب أحدًا غيرك.
أنا فتاة سيئة يا أبي، سيئة جدًا.
ما كان ينبغي ليّ أن أفعل ما فعلت.

أنا أتألم كثيرًا يا أبي ولا أستطيع أخبارك، لا أستطيع.

ماذا أخبرك إني أهنت نفسي وكرامتي.

أم إني ذهبت مثل الغبية لأعترف بحبي له.

ماذا أخبرك يا أبي، أن طفلتك خائنة.

لقد فهمت، ليس الجميع مثلك.

ليس الجميع مثلك يا أبي، فأنا عندما أخبرك " بابا أنا بحبك "

فورًا تجيب " وأنا كمان بحبك يا نور عيني وضياء روحي "

ربما لم أفهم ما يريد، ربما الخطأ كان مني.

ربما غبائي هو السبب.

ربما عقلي في حجم حبة البندق، أو أصغر قليلًا.

الفصل الحادي عشر :

بعد الكارثة (غضب واعتذار)

حاولت عدم التفكير في الأمر، وأن اجعل الأمر عاديًا، لم أتحدث معه، ولكن عندما اقتربت نهاية العام الدراسي، واقتربت الامتحانات حدثته بالطبع.

وسألته إن كان سيحضر الامتحانات ولكنه أخبرني، لن يفعل، لأنه معه مواد الترم الأول بسبب الحادثة وسيعيد السنة الدراسية من بدايتها لربما هذا أفضل.

حاولت أن أغير رأيه ولكنه لم يكترث، وظلّ على رأيه .

دارت بينا مشاجرة في هذا اليوم بالتحديد عصرًا على الهاتف وكان بين أصدقائه، شعرت أن مكبر الصوت يعمل، لا أعلم كنت أسمع صوتي خارجًا، ربما كنت أتخيل أو ربما كان إحساسًا صحيحًا وأنا لم أفهم .

سأل بسخرية :

- مقولتليش أنتِ من فين؟

أجبت بحدة:

-من بين السرايات.

أجاب ضاحكًا:

-بس دي منطقة بيئة قوي.

لقد اشتعلت من الغضب وأخبرته بحدة :

- مفيش حد بيئة غيرك أنت وبلدك .

قال ضاحكًا:

- مش قولتي أنك بتحبيني؟

تألمت بشدة وتملك مني الغضب بشدة ولم أدري ماذا أقول فقد قُلت عكس ما في قلبي، كان خيرًا ليّ أن أصمت وحسب، لقد أذيته وبشدة :

- أنا أحبك أنتَ لا طبعا أنا مبحبكش ولا هحبك، أنتَ فاكر نفسك مين، أنتَ لو آخر واحد في الدنيا مش هحبك. مش عشان قولتلك الكلمة بهزار تفتكر أنها جد، لا أحنا صحاب وبس .

وكلام آخر لا أتذكره ولكني جرحته وبشدة.

وهو ماذا قال؟ بكل هدوء واختفى ضحكه وشعرت بحزن في صوته: ها خلصتِ؟

أجبت بحدة: أيوه خلصت، وسلام.

وأغلقت الهاتف في وجهه، لقد أهنته ولكني من تألمت لقد رميت سهم كلماتي ولكني أنا من أنزف.

أنا من تألمت.

أنا أختنق.

شعرت بأن حتى خفقان قلبي يؤلمني.

أشعر أن قلبي يحترق.

تمنيت أن أتحول إلى رمادًا في هذا الوقت .

بعد مرور بضع ساعات أنبني ضميري وبشدة.

قمت بالاتصال عليه، وكان مع أصدقائه أيضًا.

بكل أسي قُلت :

- أنا آسفة بجد، كنت متعصبة وكنت فاكرة أنك فاتح مكبر الصوت فحسيت بالإهانة، وعشان كدا قُلت اللي قُلته، فأنا آسفة بجد.

أجاب بهدوء:

- لا عادي ولا يهمك، أنا اللي مفروض أعتذر على فكرة.

أخجلني بكلامه حقًا، أنا من أهنته وهو يريد أن يعتذر مني.

أجبت بحزن:

- لا متعتذرش والله أنا اللي مفروض أعتذر بجد، أنا غلطت وقُلت كلام مكنش ينفع أقوله.

بهدوء تام :

- خلاص يا نور، عادي بجد.

قُلت ممازحةً :

-ليه مفكرتش تحب من الدفعة بتاعتنا، والله يا بني فيها بنات حلوين ومحترمين.

أجاب ضاحكًا :

- محترمين، زي مين يعني؟

أجبت:

-زي نسرين، ونادية، رؤي مثلًا.

رد ضاحكًا :

- مفيش بنت في الدفعة محترمة، والله أنتِ غلبانة وعبيطة، نسرين محترمة قولي كلام غير دا بس، والله أنتِ ما فاهمة حاجة.

سألت متعجبة :

- ليه بس بتقول كدا، والله هما كويسين بجد؟

أجاب :

- مش بقولك غلبانة وهبلة، لا يا بنتي أنا راحت عليا في موضوع الحب دا.

أجبت متفقة:

- طبعًا راحت عليك أنتَ والعواجيز صحابك، يلا معلش يا بني، ربنا يسترها معاكم.

وجهه كلامه إلى أصدقائه:

-بتقول عنكم عواجيز .

وهنا قام أصدقائه بالضحك، لقد جرحني بشدة وأهانني بحق، لهذا قُلت له:

- طيب أنا هقفل دلوقت سلام .

لم أفهم ماذا يقصد بكلامه، لم أحلل ما قاله حقًا، كنت غبية وساذجة، ليتني فهمت مبكرًا .

الفصل الثاني عشر:

الابتعاد

قررت الابتعاد عنه لمدة عامين.

قمت بحذفه من وسائل التواصل الاجتماعي. حتى في الكلية كنت أبتعد عنه. والطريق الذي يسير به، كنت اختفي منه تمامًا. اعتقدت إني إذا ابتعدت، لن أفكر في الأمر أو سيكون الأمر عاديًا.

لم أدري أن اللعنة ستصيبني شئت أم أبيت.

لقد تعلقت به بشدة. ربما لأننا نعشق المعاناة. أم أن الرفض يجعلنا أكثر اصرارًا؟ لا أعلم حقًا ربما .

مضت أيامي بطريقة عادية، ما زلت أشعر بالإعياء والاكتئاب، ولكني أمضي بحياتي رغمًا عن هذا. قررت أن أصلي وأطلبه من الله، ولكن الله لم يستجب لدعائي أبدًا. أعتقد إن الله رأى كل السوء الذي بداخلي لهذا أبعده عني. أو ربما رأى هو الوحش الذي أكون عليه، لهذا أنقذه الله مني .

عندما علّمتَ سجدة بالأمر غضبت بشدة ونهرّتني، ما زلت أتذكر حديثنا:
سجدة بعصبية: أنتِ مجنونة، أزاي تروحي وتهيني نفسك، عارفة أنتِ بالنسبة له إيه، بالنسبة له واحدة رخيصة، ما هو قالك مفيش واحدة محترمة في الدفعة، يعني هو كمان شايفك مش محترمة.
أخبرتها بحزن: يا سجدة، بس هو مضحكش عليا، هو رفَض، رفض تام، وبعدين أنا لاحقت نفسي وقُلت له بهزر، وأنا لما اعتذرت له، هو أعتذر ليّ يعني هو شخص كويس .
سجدة نظرت ليّ بحدة: ولما يخلي صحابه تتريق عليكِ، كأنك أرجوزة، يبقي كدا شخص كويس، لما يقولك قدامهم مش قولتي بتحبيني، يبقي كدا هو محترم، ولا لما يشغل السبيكر قدامهم، عارفة هو بيقول عليك إيه معاهم بعد ما قفلتِ معاه، عارفة ولا أقولك؟
كنت أستمع في صمت فقط ولم أجرؤ على التحدث.
سجدة بذات النبرة الحادة: بيقول عليكِ شمال ومش محترمة، وأنا بحاول مقولش ألفاظ لأنه أكيد قال حاجات كتير وشتمك بالأب والأم، ليه تجيبي الإهانة لأبوك وأمك ليه؟ ليه تصغري نفسك قدامه، ما تردي؟ يعني أنتِ

بتصلي وبتعرفي ربنا، وفوق دا كله معاكِ أبوك وأمك محتاجة الحب في إيه يعني؟

أخبرتها بانكسار: معاكِ حق، أنا آسفة .

غادرت وتركتني، كنت متماسكة أمامها فحسب، ولكني كنت أتألم بشدة. حاولت البكاء لم أستطع. شعرت أن هناك كتلة متكورة في حلقي، تشبه الغصة لكنها ليست كذلك. بقيت جالسة بمفردي، دون حراك. عادت سجدة إليّ مجددًا وضمتني لحضنها: أنا اللي آسفة بجد مكنتش أقصد، أنا بس خايفة عليكِ، وأنتِ متعرفيش الشباب أزاي بتفكر، ومتعرفيش هما دماغهم أزاي.

انفجرت باكية كإني كنت أنتظر هذه اللحظة منذ زمن، بكيت كثيرًا، كإني لم أبك من قبل.

أجبتها وأنا أحاول أن أتوقف عن البكاء: بس أنا بحبه بجد، أنا جربت أبعد معرفتش، أهو أنا بعيد، ومع ذلك لسه بحبه، أنا أزاي حبيته، مكنش ينفع أحبه، أنا كنت غبية يا سجدة، غبية. أنا حبيته غصب عني معرفش حبيته ليه ولا أزاي ! هو أنا مستحقهوش يا سجدة، أنا شخص وحش طيب؟

سجدة بحنوً وتربت عليّ: خلاص يا حبيبتي أهدي، والله هو اللي ميستهلش واحدة قمر زيك، أنتِ طيبة وحنينة، بس مشكلتك أنه بيضحك عليكِ بسهولة، بصي ربنا هيعوضك باللي شبهك، أنتِ قلبك طيب وربنا هيبعتلك قلب طيب زيك، أنما هو مكنش شخص كويس من البداية. أنتِ كنت بتقولي أنه بيحترمك بس اللي بيحترم حد بيحافظ عليه، مش يعمل عليه نمرة قدام صحابه عشان يوريهم أن قد إيه هو جامد وبيكلم بنات وفي بنات هتموت عليه، يا بنتي مراد دا ملبسهوش في رجلي، معرفش أتنيلتِ فيه أزاي؟

لم أستطع أن أتحدث فهي محقة تمامًا، لا أستطيع أن أجادل، فأنا المخطئة في كل حال.

الفصل الثالث عشر:

الاطمئنان من بعيد

بالطبع كنت أموت لأعرف أخباره، فماذا فعلت؟

هناك الجندي أو الجاسوس الذي يعمل لديّ بالطبع.

حزرتم؟ لا لم تحزروا !

سليم يا رفاق من ليّ غيره، هو من يساعدني.

أخاف بعد كل هذه الأمور أن يكون خذلاني أتي من جانبك، أخاف أن تكون أنت من دمر علاقتي به .

أنا وسليم لا نتقابل بالرغم من إننا أقرباء، فقط نتحدث عبر الرسائل في تطبيقات التواصل الاجتماعي.

كنت أتحدث معه باستمرار، لأعرف أخبار مراد فقط.

لقد عرفت منه أنه بدأ بعمله الخاص، وقام بإنشاء مزرعة لتربية الكتاكيت، هو وأصدقائه.

ولكن سليم قال ليّ أنه أخبره، أن شخص ما من أقاربهم قام بإصابته بالعين وكل الكتاكيت التي في المزرعة ماتت، وخسر رأس ماله.

وأخبرني أيضًا بعد فشل هذا المشروع اتجه إلى صناعة العسل.

ليس العسل الأسود بالطبع. لا لقد قام ببناء منحل لصناعة عسل النحل. كم هو شاب طموح حقًا. ولكن للأسف أسراب النحل ماتت، أو إنّ أحدًا قام برشها، لا يعلم ما حدث، ولكنه وجد أن جميع النحل مات. هل يستسلم؟ بالطبع لا. قرر أن يبدأ مشروعًا جديدًا بتربية البط، ضحكت بشدة عندما سمعت الأمر من سليم، هذا الفتى لا يستسلم أبدًا. لقد زاد حبي له، لا أعلم هل هو مرض أم أبتلاء؟ أو ربما أنا مريضة نفسية بحق، كيف أحب شخصًا لا يحبني، أنا حقًا غبية. هل أنا فعلًا لا استحقه، أم أنه لا يستحقني كما يقول أصدقائي. دار بيني وبين سليم حديثًا، لا أعلم هل قام بسببي أم كان أمرًا عاديًا:

كنت أبكي يومها: سليم عاوزة أقولك حاجة؟

سليم وأرسل رمزًا تعبيريًا ضاحكًا: عن مراد صح؟

- أيوه صح، هو ليه محبنيش؟ هو أنا في حاجة ناقصني؟

سليم: قطع لسان اللي يقول عليكِ كدا، أنتِ زي القمر، هو اللي متخلف.

- سليم بتكلم جد متهزرش، أنا معرفش مالي، أنا مش قادرة أنساه طيب.

سليم: خلاص يا نور كلميه واسأليه هو، أنا معرفش.

- أنتَ غبي، مقدرش أكلمه طبعًا.

سليم: ما أنتِ مطلعه عيني أنا، روح أسال عليه، شوف ماله، أطمن عليه، كلمه، هتقدري تنسي أزاي وأنتِ أساسًا على طول عارفة أخباره.

- خلاص شكرًا مكنتش أعرف أني تعباك قوي معايا.

سليم: عارفة مشكلة البنات إيه؟ أنها عاملة زي طابع البوسطة لما تف عليها تلزق، وهو دا اللي عمله معاكِ مراد، رفضك عشان تفضلي على طول تحبيه، بالرغم أن في ناس كتير بتحبك، بس أنتِ مش شايفة غيره. جننك أنه رفضك وحطم غرورك، وعشان كدا هتموتي عليه، حتى لو مش عاوزة يتجوزك، كنتِ عاوزاه يحبك وبس، ولما معملش كدا، بقيتِ زي المدمنين بالضبط، وعاوزة أسيادك يعطفوا عليكِ بأي حاجة.

- شكرًا، يا سليم لأنك عرفتني مقامي كويس. وشكرًا بجد لأنك أخ وصديق كويس، وآسفة أني بتكلم معاك أصلًا، أسفة بجد. وأتمنى ننتهي على كدا خلاص ومنتكلمش تاني.

سليم: نور أنا آسف والله، مكنش قصدي، أنا عاوزاك تنسيه بس، وتبعدي عنه لأنك تستهلي الأحسن منه.

- بس أنا مش عاوزة غيره، أنا بحبه هو، أنا عيانة بيه ولو أتعالجت أموت .

حاول الاعتذار مرارًا مني، وأنا سامحته بالطبع. في النهاية هو صديقي وحدثني عن زميلة لنا قامت بمحادثته، ولكن المحادثة كانت غير لائقة فهي كانت تصف جسدها له وتقوم بإغرائه بالرغم أنه متزوج والجميع يعلم ذلك. لقد أخجلني هذا الحديث، حتى أنه قام بتصوير هذه المحادثات وأرسلها ليّ، لكي أصدقه.

دون أن انظر إليها قمت بحذفها وأخبرته بذلك، وأخبرته إني أصدقه مهما قال ليّ. وأخبرني أيضًا أنها تحدثت لمعظم من معنا من الشباب وقالت لهم نفس هذا الكلام.

لقد دهشت كليًا، كيف لفتاة أن تقوم بترخيص نفسها هكذا؟

أ لم تخف من الله، كيف تفعل ذلك؟

هل أعيب أحدًا وأنا التي ذهبت لتعترف لأحدهم بحبها وقام برفضها، أنا مثلها أيضًا.

عندما أخبرت سليم بذلك غضب وعنفَني بشدة وقال ليّ، كيف تقارنين نفسك بتلك العاهرة، أنتِ أطهر منا جميعًا، أنتِ نقية جدًا، لدرجة أن أفعالك البريئة تعتبرينها فعلًا مُشينًا، أنتِ لن تكوني مثلها أبدًا. أنتِ طاهرة جدًا، لا تقارني نفسك بأي شخص.

أنتِ لا تشبهين أحدًا منا، أنتِ أفضل منا جميعًا .

هل حقًا ما يقول؟ لا أعلم ربما !

الفصل الرابع عشر:

لماذا؟

قررت أن أتحدث معه. أن يخبرني لماذا لم يحبني، هل أنا حقًا شخصًا سيئًا كما أعتقد؟

قررت أن أخسر كبريائي وكرامتي، لقد خسرتها من قبل وسأخسر ما تبقي منها. كنت مترددة جدًا. وخائفة أيضًا. ولكني تشجعت وقررت محادثته لم أستطع ألا أفعل، قمت بالاتصال عليه بعد سنتين من الفراق.

عندما أتصلت أجاب فورًا: ألو عاملة إيه ؟ فينك كنتِ مختفية فين؟

أجبت بشيء من الجدية: الحمد لله وأنتَ؟ أنا بس عاوزة أسالك سؤال واحد؟

أجاب بهدوء: أتفضلي أسالي؟

كنت سأبكي وربما بكيت لقد أنهار ثباتي: ليه محبتنيش يا مراد؟

أجاب بهدوء: أسالي نفسك السؤال دا؟

حاولت لملمة أشلائي: أسال نفسي أزاي طيب مش فاهمة؟

أجاب بنفس ذلك الهدوء: يا نور اللي بيحب حد مش بيهينه وأنتِ في كل فرصة كنت بتهنيني، كنت عاملة زي الوحش، وأسلوبك عصبي ووحش جدًا، يمكن عشان كدا.

أجبت بندم وقلبي يتمزق: بس أنا مكنش قصدي، مكنش قصدي إني أعمل كدا، أنا آسفة، ولو فضلت اتأسف العمر كله مش هيكفي.

أجاب بهدوء: خلاص ولا يهمك، حاجة وانتهت.

سألت راجية: طيب ممكن نحاول تاني.

أجاب نافيًا: مش هقدر، بصي بصراحة عشان ظروفي مش هتسمح، وأنا شخص لو حبيت لازم أوفي لحبيبتي، أنا مرفضتكيش أنتِ، أنا رفضت الحب نفسه.

أخبرته بلهفة: طيب ما أنا ممكن أستنى، وبعدين ظروفك مش مهم، كل حاجة هتكون تمام، أنا وأنتَ هنعدي كل دا.

أخبرني بجدية: نور أهدي كدا وأفهمي، أنتِ تستأهلي حد أحسن مني يا بنت الناس، ناس كتير بتحبك والله.

قُلت وأنا أبكي: أنا حاولت ومعرفتش، أنا مش قادرة أطلعك لا من قلبي ولا من عقلي.

أجاب بهدوء: بس أنا مقدرش أبادلك نفس الشعور.

سألت: طيب ليه، قولي أنا فيا حاجة غلط؟

أجاب بهدوء: لا والله أنتِ مفيش فيكِ غلطة.

- طيب في إيه؟

أجاب بنبرة حزينة: لأني بحب حد تاني، ومقدرش أخونها.

- اسمها إيه، عندي فضول أعرف؟

مراد: هي معذبتي وسبب هلاكي، زبيدة.

- محظوظة بجد بيك.

مراد: لا، حظها وحش.

- ليه حصل إيه؟

مراد: عشان مليش نصيب فيها.

- حصلها إيه، ماتت؟

مراد: لا، أتجوزت، أبوها مكنش موافق عليّ، بالرغم أنه عمي والمفروض أنا أولى بيها يعني من الغريب، بس هو فضل أن حد تاني يتجوزها، وعشان كدا مش قادر أحب بعدها، ولو رجعت مش هرجعلها.

- نفسك ترجع؟

مراد: هبقي كداب لو قولتلك مش نفسي، بس خلاص معدتش ينفع.

- مفيش حاجة بعيدة عن ربنا، ربنا يقربلك البعيد بإذن الله.

مراد: يسمع من بقك لباب السماء.

- طيب أنا هقفل دلوقت سلام.

أغلقت الهاتف، وأنا أردد لابأس، لابأس، لابأس، ولقد كان كل البأس في قلبي.

تلك الغصة عادت مجددًا، ذلك الألم عاد من جديد. غريبة جدًا هذه الحياة من يريدك لا تريده، ومن لا يريدك تريده وبشدة، و إن سبق وأن عثرت على من يريدك وتريده لا تريدكم الحياة معنا.

تبًا، يا لها من مزحة مزعجة، هو قلبه متألم لذلك جعلني أتألم.

لم يرد خيانتها، ولكنه حطم قلبي إلى أشلاء صغيرة.

يا زبيدة أنتِ حقًا محظوظة به، أنتِ تملكين قلبه حتى وأنتِ لست معه. علميني أرجوك كيف فزتِ بقلبه؟

أنا فاشلة في كل شيء تقريبًا، ولكن أكثر شيء فشلت به وهو عدم أمتلك قلبه. قلبه ينبض لأجلك يا فتاة.

وأنا كنت ماذا؟ كنت شيئًا دخيل وطفيلي. كنت مثل العلقة الصغيرة، يجب قتلها مبكرًا.

أتمنى أن يجتمع بك، ففي النهاية لا شيء أدعو به يتحقق، فأتمنى أن يجمعكم الله مجددًا.

الفصل الخامس عشر:

اجتماع من جديد

بعد عدة أشهر، كنتُ تخطيت تمامًا.

ما حدث أنّ مراد هاتفني وكان فرحًا جدًا.

مراد بفرحة عارمة: أنا حابب أشكرك، أنتِ بجد أحسن حد قابلته في حياتي، دعواتك استجابت، وهي أتطلقت وأبوها مصمم إني أتجوزها، وهو مكنش مصمم عليّ، بس قال لولاد عمي التاني وهما رفضوا، وأنا عشان بحبها قبلت.

رددت بحزن: بس أنتَ قُلت مش هترجع لها تاني.

أجاب: بس هي بكت وكانت عاوزاني وفكرتني بأيامنا سوا، وإننا بنحب بعض من أيام الطفولة، وأن ربنا فرقنا وجمعنا من تاني، حتى أنها اعترفت أنها بتحبني.

أخبرته بحزن: بس أنا ببكي طول الوقت يا مراد.

بنبرة هادئة: وأنتِ إيه دخلك بينا.

بنبرة حزينة أجبت: أيوه صح أنا إيه دخلني بينكم. بس أنتَ قولت أنك مش عاوز تشوفها مرة ثانية.

بهدوء: أنا عارف يا نور، بس أوعي تصدقي الناس اللي بتكون واقعة في الحب.

- بس دا مش حب... دا ضعف.

مراد: "زبيدة " هي ضعفي.

- مراد هتسيبك من تاني... زي ما سابتك في الأول، ولو كان عندها اختيار أفضل منك كانت اختارت غيرك، زي ما اختارت غيرك زمان.

مراد: أنا عارف أنك عاوزة تحميني.

- أنتَ مخادع ومزيف وكاذب.

مراد: قولي زي ما أنتِ عاوزة بس أنا بحبها ومش بأيدي حاجة، أنا بجد بحبها.

- خلاص خليني أمشي... أرجوك.. مش هقدر أستمر كدا، لازم أمشي.. ولو ضعفت.. رجعني للطريق الصح من تاني مفهوم؟

مراد: مفهوم.

- ولو رجعت تاني وكلمتك، قولي متكلمنيش تمام.

مراد: تمام.

- شكرًا يا مراد، وبعتذر لو ضايقتك في يوم، وبتمنالك حياة سعيدة مع اللي بتحبها.

مراد: وربنا يكرمك أنتِ كمان يا نور .

أغلقت هاتفي وجلست أبكي، أبكي لأن الله أستجاب لك، لا ليّ. لأن الله حقق مطلبك لا مطلبي. لقد أردتك كثيرًا يا رجل، لدرجة أن الكون تآمر لأخذك مني. لقد صليت كثيرًا وتضرعت لله، وطلبتك في كل صلاة. حاولت بكل الطرق، ولكني لم أفز بك.

لابأس، لابأس، ربما لست أنت الشخص المقدر ليّ. ولكني ما زلت أحبك ولن أحب أحدًا بعدك، لقد أصبحت داخلي. أنت كالمرض الخبيث مهما حاولت التخلص منه. لن تستطيع هو يفتك بك، ويدمر كل خلية من خلايا جسدك تدريجيًا وببطء شديد. أنت مثل السرطان في مرحلته الأخيرة لا تستطيع علاجه ولا يستطيع تركك، في النهاية لا يوجد مفر منك، إلا الموت . أتمنى أن أموت، وأتمنى إنني ولو لِمَ أخلق بعد.

لماذا الله أستجاب لك ولم يستجب ليّ. لماذا؟ حسنًا. ربما لم أكن خيرًا لك، ربما أنا شخصًا سيئًا، ربما لم أكن استحق وجودك. ولكني أحببتك بصدق.

أحببتك كما لم أحب أحدًا من قبل. كنت أنت أول حب في حياتي. أول غصة. وكنت أيضًا أول الكسور.

كنت أول شعور أشعر به. وأول بكاء. كنت أول كل شيء سيئ أشعر به. أنت كنت لعنتي. كنت أعتقد إنني إنسانة متكاملة وحولني الحب إلى فاشلة.. تكور كل ذلك الغضب والكراهية في حلقي، اعتبرته تأثير مؤقت بسبب الظروف.

ولكنه كان أنت. هل صفعك أحدهم فجأة صفعة قوية؟

هذه الصفعة هي الحب، ولكن تشعر بمزيد من الأذى من تلك الصفعة عندما يأتي شخص ثالث بينكما.

وأنا أشعر بكثير من الألم والأذى. هنا بداخل قلبي.

كيف يعقل لشيء بحجم قبضة اليد، أن يتحمل ألمًا يكفي مجرة بأكملها. هل هذا هو العدل؟ يبدو أن الحياة ليست عادلة. أم نحن من نتمنى شيئًا ليس لنا. حسنًا. إن كان ليس لنا من البداية، لماذا أذاً نقابله؟ أ لم يكن من الأفضل لو أنه لم يظهر في طريقنا من الأساس.

الفصل السادس عشر :

نصب في الحب

تعرضت صديقتي رؤي للنصب من قبل من تحب. فالواقع هل يتعرض أحدهم للنصب في الحب؟ لم أكن أعلم إلا عندما سمعت منها الأمر. رؤي لمن لا يعرفها هي فتاة بسيطة على قدر جيد من الجمال، ولكنها صبورة وتحتوي فعلًا من تحبه. بل وتضحى بكل شيء لأجله وحرفيًا كل شيء. من أسرة دخلها فوق المتوسط أباها يقبض راتبًا يقدر بحوالي خمسة الآلاف جنيه. ولكنها بالرغم من ذلك فهي تعمل. فقط تعمل للترفيه. لكي يكون لها عملها الخاص، ولكي تشتري ما تريد. ما حدث أن حبيبها ذلك الخنزير، أنا أقول أنه خنزير أمامها وهي لا تمانع. ماذا فعل طلب منها نقودًا، وقال أنه سيعيدها لها عمّا قريب، ولكنه اختفى. والأدهى أنه قام بحذفها من جميع وسائل التواصل الاجتماعي. وتركها تبكي حظها، تحدثت معي كثيرًا بخصوص الأمر، ربما تحدثنا به ألف مرة ولست أبالغ. دار بينا حوار ما زلت أتذكره، لأنه ألمني جدًا.

رؤي: خدعني يا نور، وخد فلوسي وشقى عمري.

- طيب أنتِ أزاي أمنتِ له بسهولة؟

رؤي: عشان هو كان بيحبني، وأنا كنت بحبه وكنت واثقة فيه.

- طيب خلاص أهو شر وانزاح، أنسي بقا أنتِ بقالك شهور، بتقولي نفس الموضوع وهو شخص مش كويس وخلصتِ منه.

رؤي: أنسى أزاي حد كنت بحبه وبيحبني، كان ما بينا شعور متبادل، أنتِ منستيش بالرغم أن مراد محبكيش وكان حبك من طرف واحد وبس، يعني عمرك ما هتفهمي أنا بمر بإيه.

في هذه الساعة لم أدري ماذا أقول، أنا أتألم بالفعل لم يعد هناك ما أشعر به. الألم، لم أعد أتأثر به. أصبحت شخصًا لا يعرف كيف يبتسم، تحولت لكتلة من التراكمات والحزن.

أخبرتها كذبًا: بس أنا نسيت خلاص، هو أصلًا مبيحبنيش، وبيحب واحدة تانية فانتهى.

رؤي: وأنا أتمنى لو أنسى، ما بينا ذكريات كتير جدًا، تفتكري هقدر أنسى.

- متقلقيش الوقت كفيل يشفي كل الجروح.

رؤي: تعرفي يا نور، بتمنى أبقي زيك يعني أبقي قوية، وأتجاوز الأمور زي ما بتعملي.

- بس أنتِ قوية، حتى أنك أقوي مني.

رؤي: بقولك إيه يقطع الرجالة كلها، بلا غم.

لقد ضحكت: أيوه فعلًا، بس إيه ذنب الناس الكويسين طيب، زي سليم مثلًا.

رؤي: أهو سليم دا أحذري منه، مبحبهوش الواد دا.

- ليه بس دا طيب وغلبان حتى.

رؤي: والله ما في حد طيب وغلبان غيرك، أنتِ ليه شايفة أن كل الناس زيك، بالرغم أنهم وحشين.

- عشان أنا شايفة فيهم الخير وبس.

رؤي: فوقي يا نور، الناس جواها الشر أكتر من الخير.

- يا ستي، لازم نظن بالناس خير.

رؤي: طيب وماله .

أنا لست قوية يا صديقتي. أنا أضعف مما أكون.

-أليس صعبًا؟

ماذا؟

-أن تحب شخصًا لا يبادلك الحب!

إنه أفضل شعور في العالم.

-ألا يُشعرك بالضعف؟

مُطلقًا لا شيء يضاهي قوة الحب من طرف واحد؛ بخلاف العلاقات الأخرى لا يتم مشاركته مع أحد، إنه حقي، ملكي فحسب. من أجل حبٍ كهذا أنا لست بحاجة إلى من أحب لكي أحبه، ليس هناك حب يضاهيه.

ليس أفضل شعور بل أسوأ شعور في العالم. أشعر إني ضعيفة ومنكسرة. ولا أستطيع حتى التخلص من هذا الحب.

هذا الحب هو ابتلاء لنتهذب به، هو الابتلاء الذي يعيد القلب إلى الله. ماذا أفعل حاولت كثيرًا، ولكنك لست ليّ. ولكن إن كنت لست ليّ، فلماذا ما زلت أحبك؟ هل أعلم؟ لا.

في مسلسل "أهو دا اللي صار" مقولة تقول " الحب مرض القلوب الطاهرة "وأنت مرض قلبي. أنا مريضة بك. أنت مرضي ونقطة ضعفي. أنت هو

الضعف الذي تمنيت أن يقويني. ولكنك لم تفعل. ما فعلته أنك قمت بأضعافي أكثر مما كنت عليه.

لقد قصصت أجنحتي التي كنت أطير بها. كنت طائرًا حرًا، جعلتني حبيس القفص.

الفصل السابع عشر:

اكتشاف الحقيقة

مرت أيامي عادية جدًا، لقد تخرجت وتفوقت في السنوات التي كسر قلبي بها. لقد كان هناك فائدة في النهاية، وهي التفوق.

كانت أيامًا جميلة بكل مرَّها. لم نعلم أن العمر جرى سريعًا، كنا صغارًا قبل كل تلك السنوات. والآن أصبحنا شيوخًا معاتيه .

اكتشفت حقيقة سليم، لم اكتشفها بشكل حرفيّ. ولكن في النهاية مهما حاولنا إخفاء الحقيقة. سنكتشفها يومًا ما. لم يكن ذلك اكتشاف بل هو من اِعترف ليّ بنفسه. دار بينا يومها حديث عن مراد و إني ما زلت أحبه.

- سليم أنا بحب مراد.

سليم: طيب و إيه جديد، ما أنتِ على طول بتقولي كدا.

- الجديد أني عاوزة أنسى.

سليم: كل مرة بتقولي كدا، ومش بيحصل حاجة.

- لا المرة دي هنسى بإذن الله.

سليم: طيب هتعملي إيه؟

- هوافق على العريس اللي المتقدم، هعمل إيه يعني ؟

سليم: لا متوافقيش.

- لماذا يا هذا؟ ليه يعني طيب؟

سليم: أكيد مش مناسب لكِ.

- مش سبب للرفض.

سليم: طيب لو قُلت لك إني معجب بيكِ.

- سليم متهزرش، أحنا أخوات وبس، وبعدين أربعين مرة أقولك أنتَ في عندك مراتك وبنتك وابنك، يعني في حاجات تمنعني كتير، أفكر فيك مجرد تفكير حتى.

سليم: بس أنا نفسي تحبيني، أنا عملت كل حاجة،

إني أبعد عنك و إني أقرب منك، حتى إني أتجوزت. بس مقدرتش أطلعكِ لا من قلبي ولا من عقلي. في الواقع المعذرة، بس أنا مش آسف. قولي ليّ أعمل إيه؟ إيه اللي أقدر أعمله؟ أنتِ فاكرة أني عاوزك كرغبة مثلًا أو أنتِ بالنسبالي شهوة، لا أنا عاوزاك تحبيني. أي اللي بيميزَّ مراد عني؟ لو قعدت أيام في الشمس وقُلت كام حاجة فلسفية، هل هتحبيني وقتها. هل هكون

مناسب لمعاييرك؟ طيب أنا هعمل كل دا، أنا ممكن أعمل كل دا. ومتهربيش مني وتقفلي تليفونك، هو دا اللي بتعمليه، أتكلمي وقولي اللي نفسك فيه.

- بس أنا مقدرش أبادلك نفس الشعور؟ عاوزني أكذب عليك؟

سليم: أيوه أكذبي عليّ.

- لا مقدرش أكذب.

سليم: وليه لا؟

-سواء عشت أو مـت مش هكذب عليك، دا هو الشيء الصادق الوحيد في حياتي يا سليم.

سليم: يعني متقدريش تحبيني مكان مراد.

- بس اللي بينا دا حب يا سليم.

سليم: بس دا مش حب.

- بس دا حب بالنسبالي يا سليم.. دا أسمى من الحب.. دا أعظم حب في حياتي.

سليم: لا أنا مش عاوز حب زي كدا.

- أنتَ صديقي، عائلتي كل شيء، الحاجة الوحيدة المختلفة أنك مش حبيبي .

سليم: وليه أنا مش كدا، أنا ممكن أكون حبيبك كمان .

- سليم أنا دمـرني النوع دا من الحب.. يعني أنتَ عاوز يحصلك نفس اللي حصل ليّ؟

سليم: أيوه أنا عاوز يحصل ليّ كدا، عاوز أدمر عشانك ومستعد أموت.

- سليم خلاص انتهينا، مش عاوزة أكلمك تاني، أنا مقدرش حتى أفكر مجرد تفكير فيك .

سليم: بس أنا عملت كل حاجة عشان تحبيني. وقفت جانبك في وقت كنتِ محتاجة حد جانبك. كنت مرمطون عندك عشان أجبلك أخبار مراد، أنا صحبتهُ عشانك أنتِ.

- وأنا مقدرش يا سليم، حاجات كتير تمنعني قولتلك.

سليم: أنا اللي قُلت لهُ أنه ميحبكيش، عشان أنا اللي بحبك.

- سليم متهزرش، أنت بتكذب عليّ صح؟ قول أنك بتكذب وأنا هصدق والله. بس متقولش أنك عملت كدا.

سليم: مبهزرش دي الحقيقة، أنتِ اللي عقلك رافض يتقبلها.

- لا، لا، دا كذب أنتَ بتكذب، أنتَ ليه أذتني كدا حرام عليك؟

سليم: كان واضح جدًا قدامك بس أنتِ كنتِ عمية، عمية لدرجة مش شايفة حبي ممكن يوصلني لأي.

- أنا فعلًا كنت عمية لأني اعتبرتك شخص طيب، أنا آسفة، آسفة جدًا، آسفة لنفسي الغبية، وآسفة إني كنت بصدق كل كلمة بتقولها ليّ. انتهينا خلاص، كنت أتمنى متكونش النهاية كدا .

كنت مصدومة كلّيًا، كيف فعل هذا بي؟ كيف حطم فؤادي؟

وكيف هونت عليه؟ كنت أعتبره أخًا ليّ. كيف أمكنهَ كسر كبريائي هكذا؟ أنا التي كنت أصدقه في أي شيء، أي شيء يقوله.

لقد كان دوستويفسكي صادقًا عندما قال:

لقد هُزمنا من الأصدقاء، من الأحبة، والأقرب إلي قلوبنا، ومِن مَن كُنا نظن بهم خيرًا، لم تأتِ هزائمنا أبدًا من الأعداء".

وأنا هزمتُ من صديق ومن منّ كان أخًا ليّ، منّ كنت أظن به خيرًا هو من حطم قلبي.

سليم الجميع كان يعلم حقيقتك إلا أنا. ربما لأني حمقاء جدًا وغبية جدًا، وأتأمل في الناس خيرًا دائمًا. ستجعلني أعيد حساباتي من جديد.

حسنًا. ليس جميع البشر مثلك. أتمنى إلا أنخدع مرة أخرى. ولكن الخداع جزء من الحياة أيضاً. كما الخذلان جزء مهم جدًا من الحياة، يعلمنا دروسًا غالية الثمن ولكن دون مقابل ماديًا. فالثمن الذي يأخذ هو من أرواحنا.

الفصل الثامن عشر:

طيف من الماضي

في يوم ما، عندما كنت أفتش في أغراضي القديمة. أغراض مرَّت عليها سنوات كثيرة جدًا. ليس جدًا حرفيًا. ولكنها من أيام الطفولة السعيدة. عندما كنت أفتش وقع عيني على ورقة صغيرة، مكتوبة بقلم رصاص بخط ردئ جدًا، ولكني استطعت قراءتها بالطبع.

" من عليٌ

نور أنا مس (مش) عارف أقولك إيه، بس هقولك أنا بحبك ولما أكبر هتجوزك.

إلى نور "

قلب ويوجد به سهم وعليه أول الحروف من اسمي واسمه.

يا إلهي لقد تذكرت، لقد رفضت هذا الحب البريء وقمت بتحطيم قلبه يومها. أوه يا عليٌ أنا أعتذر بشدة لتحطيمي قلبك. هل قمت بالدعاء عليّ، انظر لقد تحطم قلبي أيضًا.

يبدو إن الله عاقبني على استهزائي بمشاعرك. كنا صغارًا وقلوبنا بريئة، ودعواتنا أيضًا كانت تصل أسرع. لم نكن قد تلوثنا، مثلما نحن الآن. أشتاق حقًا لتلك الأيام. عندما كان كل شيء بخير.

عندما كنا لا نحمل همًا. وكان أقصي همومنا، هو واجب الرياضيات. وأقصى مشاكلنا، هو أننا نريد اللعب وأمنا لا تسمح لنا بذلك. كان أكثر ما ينغص حياتنا هو الاستيقاظ باكرًا. أما الآن فالحياة نفسها تنغص علينا كل شيء. كم أتمنى لو أعود طفلة صغيرة مجددًا، ستكون الحياة أجمل بالتأكيد .

أنا أشعر كما يشعر اغوتا كريستوف عندما قال:

رغبة واحدة استبدت بي: أن أغادر، أن أسير، أن أموت، فالأمر سيان عندي.. أريد أن أبتعد، أن لا أعود أبدًا، أن اختفي، أن أتلاشى في الغابة، في الغيوم، أن تُمحى ذاكرتي، أن أَنسى، أن أُنسى .

لم أعد أفكر في حبي لمراد لقد تجاوزت. لقد انتهى. أظن أنه انتهى، انتهى من قلبي ومن عقلي. لا أنا كاذبة كبيرة لم ينتهي شيء لم ينتهي. أنه هنا موجود، وهو ليس هنا.

لم أكن استحقه، لم أكن. أردته بشدة، ولكننا لا نحصل على أي شيء نريده. هذه هي الحياة عادلة بطريقتها الخاصة، وظالمة بطريقتنا نحن. ظالمة بشدة .

أعرف أن الاستماع للأغاني شيء سيئ ولكني كنت أستمع لها.

سمعت أغنية لعمرو دياب تكاد توصف حالي الآن:

"أنت أول كل حاجة والبداية ف كل شيء

حب أول مرة يجي لما قلبي كان بريء"

"اللي يعرف من البداية، النهاية هتبقي فين

مش هيغلط ف اختياره بس نعرف ده منين

كنت أخر مرة آمن قولي آمن بس مين

ما فتكرش أحب تاني صعب أغلط مرتين"

لم أعد أحب الأغاني كالسابق، ولكن هذه الأغاني تعبر عن الألم الذي أشعر به. هناك أغنية أخرى أيضًا، ولكني كنت أتمنى لو قمت بإهدائها ليّ. لكنك لم تفعل، لهذا أهديها لنفسي.

"وجع الهوى جربته زمان أنا، وبتدوقيه معايا كثير

حبيتيني وما حبتكيش وحاولت ألاقي مفيش

مكان في قلبي ليه يا قلبي ليه ما دخلتيش

وأكيد مفيش إنسان بيجي مكان إنسان
واللي مستخبي أهو بان ما عنديش "

وأنا لم يكن ليّ مكان بالأساس في حياتك، كنت خيالًا غير مرئيًا.
كنت مجرد صديقة وحسب. قليل من الاهتمام من رجل غير أبي، ظننته حبًا.
كم كنت غبية وحمقاء.

الفصل التاسع عشر:

اختيار

تحدثت أمي معي بخصوص ابن خالتي ياسر، وأنه يريد أن يقابلني وأنه يريد أن يتقدم للزواج بي. لم أعلم ماذا أقول؟ فضلت الصمت وعدم الجدال، لأن أمي تقول " مسيرك في الأول والآخر تتجوزي، اللي قدك أتجوزوا وخلفوا " معها حق، في النهاية يجب أن تستمر الحياة.

تقابلنا في جو العائلة. تركونا لوحدنا لكي نتحدث بالطبع.

ياسر بهدوء ونظره موجه إلى أسفل: أنا معرفش هما بيقولوا إيه في الحاجات اللي زي دي؟

أجبت بكل هدوء: ممكن أخبارك، أو عامل إيه تقريبًا؟

رفَّع نظره إليّ وقال باسمًا: واضح أنك متعرفيش حاجة زيي، طيب ممكن أسالك سؤال؟

أجبت بنفس الهدوء: أتفضل أسال زي ما تحب؟

ياسر: بتحبي الورد، عشان أبقى وأنا جاي المرة الجاية أجبلك ورد.

- لا.

سأل في فضول: طيب بتحبي إيه؟

- بحب الصبار.

ضحك وقال: صبار ليه، هو أنتِ في مقابر؟

اجبت: عشان أنا بكره الورود بحس أنه مبالغ فيه جدًا. عشان في البداية بتأثير إعجابنا بألوانها وبعدين برائحتها الزكية. وبعد كده تتلاشى ألوانها وتختفي رائحتها لغاية ما تبقي منطفئة وذابلة ومعتمة. أما الصبار في المقابل مش بالهشاشة دي. وكمان مش بيعرف الخوف، ومش بيدبل. أنا مش عاوزة أكون وردة، أنا عاوزة أكون صبارة قوية.

ياسر: تصدقي أول مرة أخد بالي من الموضوع دا.

- حابب تسأل أي أسئلة تانية؟

ياسر: لو مش هتتضايقي يعني؟

- مش هضايق عادي.

ياسر: طيب ممكن أطلب منك طلب؟

أجبت بنبرة نفاذ الصبر: أتفضل طبعًا.

قال في نبرة خجولة: ممكن ترفضيني، بجد والله بكلمك، أرفضيني.

ابتسمتُ: ليه، طيب المفروض أنتَ اللي ترفضني مش أنا.

طيب أنتَ خايف ليه؟

اجاب بصوت أقرب للهمس: أمك وأمي هما اللي مصممين على الموضوع، وأنتِ عارفة خالتك يعني.

ضحكت بدون إرادة مني: أيوه عارفة طبعًا، طيب ليه بتتكلم بهمس طيب؟

اجاب بنفس ذات الصوت: عشان هما أكيد برا الباب وبيسمعوا كلامنا دلوقت.

تحدثت بنفس نبرته في الهمس، واستخدمنا الهمس في حديثنا: طيب وأنتَ ليه عاوزاني أرفضك.

ياسر: عشان مش حاسس أني عاوز أتجوز دلوقت.

- طيب ما تقول لهم طيب.

ياسر: مقدرش أقول كدا، أولًا خالتك هتفتكر أني بحب حد وأنا مبحبش حد.

- طيب ما تفهمها وجهة نظرك.

ياسر: أفهمها إيه بس، هي فاهمة إني أتعقدت من خطوبتي الأولى. هو أنا أتعقدت فعلًا، بس ليه الشك؟

حاولت أن أضحك ولكني لم أفعل، فقط ابتسمت: طيب وأنا أرفضك أزاي ما ترفضني أنتَ.

ياسر: طيب بقولك إيه ما نرفض أحنا الاتنين سوا.

- حاضر، هعمل كدا.

ياسر: نور، أوعي تزعلي بس بجد أنا مبفكرش في الجواز دلوقت.

- ياسر، متقولش كدا مش ممكن أزعل منك.

ياسر: تعرفي أنك أنضف حد أقابله في حياتي.

- ليه بتقول كدا؟

ياسر: عشان دي الحقيقة فعلًا، لو واحدة غيرك وقُلت لها ترفضني، أو إني هرفضها كانت طربقت الدنيا على دماغي.

- والله أنتَ طيب قوي.

ياسر: عارفة أنتِ في مقولة قرأتها بتعبر عنك جداً " لطالما أسرتني عادية الإنسان أكثر من تكلُفِه" فأنتِ أسرتيني بأنك عادية، أول مرة أشوف حد مش متكلف كدا.

- عادي بجد، طيب أسيبك وأروح أقول لماما إني رفضتك.

وأنتَ كمان قول أنك مرتحتش معايا.

قال ممازحًا: طب والجاتوه اللي جبتُه.

- طيب ما أنتَ كلت منه أهو، لحظة واحدة أنتَ مجبتش حاجة أصلًا، أنتَ بتخم.

- ياريت ولو قابلتك من البداية.

- مفيش نصيب .

غادرت الصالة وذهبت إلى المطبخ لأخبر أمي الخبر الذي ستصعق لسماعه.

أجبت في هدوء: ماما أنا مرتحتش.

أمي وقامت بالزغر ليّ بعينها، هذه الحركة ما زلت أخافها: ومين فين مرتاح يا قلب أمك، هتوافقي عليه ورجلك فوق رقبتك.

لم أستطع أن أتحدث، فقط تمنيت لو أن خالتي الآن تأتي وتخبرنا أن ياسر يرفضني. وقد حدث ما تمنيت، جاءت خالتي وقالت: ابني مش عاوز بنتكم.

وهنا تعالت أصوات أمي: نعم يا أختي، لا بقا دا بنتنا هي اللي رافضة ابنكم.

خالتي بنفس الصوت: لا بقا، ابننا اللي رافض.

المهم أنهم تشاجروا بسببنا ونحن كنا نضحك ونجحت خطتنا.

لقد أفسدنا علاقة كانت منذ الصغر. والآن أمي وأختها لا يتحدثان بسببنا.

ولكن ماذا نفعل؟ لم يرد الزواج الآن.

وأنا احترمت رغبته وبشدة.

الفصل العشرين والأخير:

صديقة مقربة

لقد تخرجت بالطبع منذ زمن ولكن إلى الآن لم أحظى بوظيفة أحلامي. أبي قام بمعايرتي وقال ليّ التحقت بكلية التجارة لتعملي في بنك، وها أنتِ ذا تجلسين بجانبي لا شغل ولا مشغلةٍ.

لو سمعت كلامي من البداية لكنتِ الآن مترجمة وتعملين. أو لو اختارت الشعبة العلمية من البداية لأصبحت طبيبة. ولكنك فاشلة ولا تعرفين كيف تختاري أي شيء في حياتك .

أنتَ محق يا أبي أنا فاشلة واختياراتي سيئة جدًا .

بالتحدث عن الوظيفة، كنت تعرفت على صديقة وهي تساعدني في البحث عن وظيفة. أنها أسماء وهي مثل السماء. أعجبني هذا السجّع. أحلامها بسيطة وحياتها بسيطة. كل ما تريده هو شخصًا يحبها ويحتوي غضبها فحسب. لم يكن لها علاقة بأحد من قبل.

ولكنها كانت تعجب بالتأكيد مجرد إعجاب فحسب. عائلتها عادية، كما في جميع العائلات هناك أناس تحبك وأناس تكرهك، ليس الجميع سيحبك بنفس الدرجة. ولكن بدرجات متفاوتة .

أما عني فما زلت أحب مراد. بالمناسبة، قام بِافتتاح عمله الخاص، وهو شركة صغيرة للبرمجيات. لقد اختار مجالًا يحبه، وأتمنى أن ينجح في ما يفعله.

إما بالنسبة ليّ فإن الحياة قاسية.. قاسية جدًا..

تدوسنا.. تدوس مشاعرنا.. وتدوس أحلامنا. .

كل شئ يتحقق فيها تسقط قيمته.. حتى المادة نفسها.. حتى النقود.. تظل حلما جميلًا حتى نكسبها وننفقها فتسقط قيمتها .

كنت أريد شخصًا يشبهني ولكني كنت مخطئة.

"لا التشابه ولا الاختلاف يحددان مسار العلاقة؛ بل هي الأرواح، فالرّوح عندما تألف الروح، تحاكي دواخل الإنسان، ودون أن تخلّف سبب أو برهان، تحلّ كل العقد، وتهذَّب كل التنافرات، وتنصهر كل الفوارق، ويغدو صاحبها أسيرًا.. لا لأوجه التشابه، ولا لجاذبية الاختلاف؛ بل لانسجام روحه مع الآخر"

وأنا ألفت روح مراد، ولكنه لم يألف روحي. ليس ذنبه، أن قلبه من يتحكم به.
ولكن أتعرفون ما المشكلة الحقيقة؟
"مشكلتي يا صديقي هي التفاصيل، أنا لا أُجيد تجاهل التفاصيل، كلمة واحدة في حديثٍ طويل تجعلني حزينًا، ذكرى قاتلة تعبر في بالي تغيّر مزاجي لعدة أيام، التفاصيل الصغيرة تقتلني بشدة"
في النهاية أشكرك يا مراد، لأنك أعدت هذا القلب التائه إلى الله.
أصبحت أكثر التزامًا، وأكثر قربًا من الله. تأتي عليّ أوقات كثيرةٍ أود لو أقتل نفسي. لذلك أذهب وأتوضأ وأصلي وأتضرع لله وأبكي، أبكي وكأني لم أبكي من قبل. أخرج كل الألم وكل الأحزان مع الله.
كنت قرأت لدكتور مصطفي محمود وأعجبني هذا النص:
"كنت أعتقد أنَّ العبد هو الذي يحب الله أولًا حتى يحبه الله؛ حتى قرأت قول الله تعالى
"فسوف يأتي الله بقومٍ يُحبُّهم ويُحبُّونه" ..
فعلمت أنَّ الذي يحب أولاً هو الله.. وكنت أعتقد أنَّ العبد هو الذي يتوب أولاً حتى يتوب الله عليه؛ حتى قرأت قوله تعالى

"ثُمَّ تَابَ عليهم ليتوبوا".. فعلمت أنَّ الله هو الذي يلهمك التوبة حتى تتوب ..

وكنت أعتقد أنَّ العبد هو الذي يُرضي الله أولاً ثم يرضى الله عنه؛ حتى قرأت قوله تعالى "رضي الله عنهم ورضوا عنه".. فعلمت أنَّ الله هو الذي يرضى عن العبد أولاً.. فاللهم اجعلنا ممن أحببتهم وعفوت عنهم ورضيت عنهم وغفرت لهم."

تمت بحمد الله.

بتاريخ: 10/12/2023